المعرّي الشاكّ

نقد شعري

محمد سعيد الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي

دار المحجة البيضاء

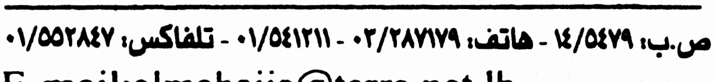
المعري الشاك

نقد شعري

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م




الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com



نقد شعري

محمد سعيد الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي

دار المحجة البيضاء

صورة المؤلف



الإهداء

هذه صفحاتٌ اكتبستُ نظراتها ورؤيتها من فلسفة لأبي العلاء المعري بعد دراسةٍ لشعره أهديها إلى أخي وحبيبي رسول الشيخ علي الخنيزي تقديرا لوفائه وإخلاصاً مني إليه.

أخوك

محمّد سعيد الشّيخ علي الخنيزي

١٤٢٧/١١/٢ هـ

٢٠٠٦/١١/٢٣ م

مقدمة

تدور في آفاق نفسي فكرةٌ منذ زمنٍ بعيد إلاّ أنّ هذه الفكـرة تطفـو على أفق نفسي ثم تعود فتختفي، وترسب فِي الأعمـاق فكنـتُ فـي صـراعٍ طويل في ظاهرة نفسية تعوم وتريد أن تقفز فتتجسد فكرة في حرفٍ علـى الورق ينطق، ويتكلم بمحتوى الفكرة، ولكنهـا تعـود فتختفـي، وبعـدَ هـذا الصراع الطويل صممَتُ لأجسد هذه الفكرة، وهي تدور حـول أبـي العـلاء المعري الفيلسوف وشعره.

وهذا العبقري كتب عنه كثيرون، ولكنهم اختلفـوا فيـه اختلافـاً أدّى إلى تناقض الـرأي، وصـراع الفكـر، وهكـذا تتـصارع الأفكـار والآراء فـي العبقرية النادرة التي تترك بصماتها على صفحات التاريخ، فالمعري لا يقـدر أحد أن يغمطه هذه العبقرية التي منحهـا الله إيـاه وألهمـه، وهـو فيلـسوف برهن المحبسين اللذين كبلاه وقيداه، ولكنه لا يتقوقع بـين جـدران هـذين المحبسين إنما روحه تنطلق في أفـقٍ رحـبٍ، وفـي سـماءٍ شـفافةٍ تـسطع بكواكبها وأنوارها وشموسها.

فانطلاقته الشعرية التي حطمت القيود، وسبحت بروحٍ مجنحة علـى سماء الواقع تشرب من كؤوس معارفٍ فترسمها فكرةً فـي حـرف أخـضر يزرع الدرب، وينبت الورود للأجيال، وسبق لي في هذا الحديث أنْ أشرتُ إلى تناقض المفكرين في شخصية المعري وشعره، وافتراقهم افتراقـاً بعيـداً

فمنذ زمنٍ قديم كان التاريخ مولعاً بالمعري، واختلف المؤرخون القدامى فمنهم من صوَّره ملحداً كمعجم الأدباء، ومنهم من صوره فيلسوفاً مسلماً لم يصل الباحثون لفلسفته، ولم يفهم آرائه، وفي عصرنا الحديث القرن العشرين والواحد والعشرين ذهب بعض المفكرين إلى أنه ظنت بإسلامه الظنون كالأستاذ العقاد في عبقرية الإمام علي، أما الدكتور طه حسين في كتاب تجديد ذكرى أبي العلاء ذهب إلى أنه فيلسوف، ولم يفهمه الناقدون، وليس في شعره ما يؤثر على عقيدته، وهناك الإمام محمد حسين كاشف الغطاء يراه مسلما شيعياً في كتاب أصل الشيعة وأصولها، وهناك رأي يعيش في الوسطية يقول إنه شاك كالعلامة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الخنيزي (الخطي)ﷺ في مقاله الذي طبع في كتاب خواطر الخطي، كما كتب عنه العلامة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله العلايلي المعري ذلك المجهول.

وهذه الآراء تتناقض وتتباين، ولماذا أصبحت هذه الشخصية تزن بهذا الميزان الفكري، وتتناقض فيها العباقرة والمفكرون لعظم عبقريته، أم هناك سرٌّ خفيٌّ في شعر هذه العبقرية كلٌّ يقرأه، ويفسر حسب رأيه، هناك رسالة الغفران التي كتبها المعري، ولم تكن في رأيي رسالة غفران إنما هي سخرية، ضحك فيها المَعري، وأسماها برسالة الغفران، واليوم لا أريد البحث والدراسة عن ديوانه سقط الزند، وإنما أريد البحث عن ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) فهنا الآراء المتناقضة التي تضرب بعضها بعض وتنقض بعضها للبعض فهو فيه يعوم في بحرٍ تتلاعب به العواصف الهوج فعندما تقرأه، وتدرسه دراسة عميقة سيظهر لك المعري أحياناً فيلسوفاً، وأحياناً زاهداً، وأحياناً موحداً، ومرة أخرى ملحداً لا يؤمن بأنبياء، أو رسل، وسوف نأتي، وندلل على هذه الفكرة، ونستخرج الدليل من شعره إن صح

دراسة الشخص من شعره فكثيرون الذين يرون أن الشعر مترجم لشاعره، ومعبرٌ عن فكرته، ومصور لحقيقته، وما يكنه من آراء.

أما رأيي الشخصي: فهنا أأخذ بالوسطية التي قد تعطي الواقعية لشخصية الشاعر غير شعره، وهذا الدليل يعرفه الباحث إذا كان يعرف الشاعر شخصياً، وعاش معه في جوٍّ واحد، وقد يكون الشِّعر مترجماً لحقيقة الشَّاعر ومجسداً لها، وهذه الحقيقة لا تعرف إلا بالفكرة التي أشرتُ لها، والظاهرة التي تنبثق للباحث من تلك الصور التي يطبع فيها الشاعر أفكاره، ولا يعرفها الناقد أو الكاتب إلا بمعايشة ذلك الشاعر أو المفكر، والمعايشة مع ذلك المفكر أو الشاعر يقرؤها الناقد على قراءتين فالقراءة الواقعية التي تطابق واقع ذلك المفكر عندما يكون الناقد يعيش مع ذلك المفكر أو الشاعر على صعيد واحدٍ ويسايره في مسيرته الحياتية أما القراءة التي يقرؤها الناقد من خلال حروفه وصوره ويعايشها ويسير معها بعدما يُلف الشاعر وراء الحياة فقد يصيب كبد الواقع وقد يخطئ عندما يقرأ تلك الأفكار ويفسرها ويصورها بصورٍ ما أرادها الشاعر أو المفكر ولا نذهب بعيداً وقد روى التاريخ أن أستاذاً كان يشرح بيت أبي نواس:

ألا فاسقني خمراً وقولي هي الخمرُ ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهرُ

الأستاذ شرح هذا البيت إلى طلابه، ومن شروحه سأل الطلاب هل تعلمون ماذا يقصد أبو نواس بقوله «وقوللي هي الخمر»، فأجاب الطلاب لا نعرف قصد الشاعر يا أستاذ، قال الأستاذ إن أبا نواس بقوله «وقوللي هي الخمر» أراد أن يصور في هذا البيت جميع اللذات المعنوية والحسية، ومن

ضمنها لذة السمع، وعندما سئل أبو نواس عن هـذا التفـسير قـال إننـي لـم أقصد اللذة السمعية هكذا روى التاريخ والله أعلم بالحقيقة، ولكن نأخذ من هذه القصة أصحّت روايتها أم لم تصح. مثالاً واحدا قد نحمِّل صور الـشاعر أو حروفه معانٍ أو صور لم يحملها ذلك المفهـوم أو ذلـك الحـرف أو لـم يقصدها الـشاعرِ نفـسه وبحثُنـا هـو عـن المعـري، وقبـل أن نطـوي هـذه الصفحات نحب أن نشير إلى سرٍّ في حياة المعري لـم يتعـرض لـه الـذين كتبوا عنه ولم يشيروا إلى ذلك السر من قريب أو بعيد، قـد يعجـب المـرء كيف مرَّ المعري بهـذه الحيـاة الطويلـة وحـساده كثيـرون ويكيـدون ولـم تتعرض له طول حياته الساسة الذين عاصرهم، وبرغم مـا يـصرح بـه مـن آرائه الضبابية في شعره وانحرافاته الفكرية فما السر في ذلك حيـث عـاش ومات بدون أن يمس بأذى لعل السر هو أنه لـم يتعـرض فـي شـعره إلـى السياسة، ولم يأتها من قريب أو بعيد لهذا السر تركه ساسة عصره بدون أن يمسوه بأذى وظل في هذا الضباب الملبّد بالظلام.

حياة المعري

ولعل من الخير للباحث الذي يريد أن يدرس حياة شاعرنا أو كاتبنا أو الفيلسوف أن يلم بظروف حياته وما مر بها من ظروف الشقاء أو السعادة حسب ما يسمح له التاريخ الذي سجل عن ذلك الشخص وكتب عنه وعن حياته، ولعل من الخير أن نمر قبل حياة المعري الشخصية الظروف السياسية والاجتماعية التي عاش في وسطها ولبس أيامها واصطرع بآلامها واكتوى بجاحمها، وظروفه السياسية كانت مضطربة حيث إن الدولة العباسية التي بسطت جناحيها على العالم الإسلامي وامتدت إلى أطراف أوروبا هزلت وشاخت لأن الموالي استولوا على الحكم وهمّشوا العرب الأصالى وكان الخليفة يعزل ويقتل ويكتفي من ولاته بذكر اسمه في خطب الجمعة حتى قال شاعرٌ:

خليفةٌ في قفصٍ بين وصيفٍ وبغا يقول ما قال لـه كما تقول الببغا

ووصيف وبُغا هما قائدان من الأتراك وكانا يديران الحكم في البلدان الإسلامية من عاصمة الملك بغداد ويعزلان الحاكم ويعينان ما يختاراه ويريداه، والمعري ولد في هذا الظرف المضطرب السياسي عام ٣٦٣ هـ ـ ٩٧٣ م. ونشأ في هذه الأحداث تحت ظل والده الذي كان له دور سياسي في الدولة، وفي العلم واللغة والأدب حيث ولي قضاء المعرة

وحمص ردحاً من الزمن، وقبل أن نعطي لمحةً مقتضبةً عن حياة المعري لا بد أن نشير إلى اسمه والسلسلة التي ينتمي إليها:

فاسمه أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد، وعندما بلغ الثالثة من عمره أصيب بداء الجدري الذي أذهب عينه اليسرى وعلت اليمنى غشاوة لم تلبث أن ذهبت بها فأصبح وهو في السادسة فاقد البصر، أخذ المعري عن أبيه شيئاً من اللغة والنحو والأدب ثم تتلمذ على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب وبعدها رجع إلى المعرة فقرأ على بعض مشاهيرها كثيراً من العلوم الدينية والعربية، وعندما استقر في المعرة كان قد بلغ العشرين من عمره فانصرف إلى المطالعة والدرس، ومال في أول أمره للتكسب في شعره فنال من ذلك مالاً وفيراً إلا أنه كره التكسب بعد ذلك واقتصر في شعره على مراسلة نفر من أخوانه الأدباء وعلى رثاء عدد من أقاربه، ثم أخذ يكتب في أغراض وجدانية صرفة، وبعد أن فارق والده الحياة شعر المعري بأن الحياة عبء ثقيل على كتفيه لأن الذي كان يكفل له شظف العيش قد انطوى من هذه الحياة.

ونسب المعري:

يرجع نسب المعري إلى قبيلة تنوخ من عرب الجنوب الذين هاجروا بعد انفجار سد مأرب واستوطنوا سوريا وكانت عائلته من العائلات المعروفة بالوجاهة والثراء والعلم، والمعري هاجر إلى اللاذقية وتلقى فيها بعض العلوم وبعض الفلسفة، وكان أساتذته معجبين بذكائه وثرائه العلمي وتحصيله الدراسي ولعل هذه الدراسة التي تلقاها في اللاذقية طبعته بميول فلسفية تحولت إلى شكوك؛ واضطراب، وهاجر إلى بغداد وقد سبقته شهرته العلمية والفلسفية والشعرية واحتفل به وكان له

دورٌ تقديريٌ من العلماء في ذلك العصر التي كانت بغداد تزخر بالفكر والعلم، فهي كالقمر بين العواصم تسطع بعلمها وفكرها ويؤم لها من الأقطار الإسلامية، وحتى من أوروبا للدرس والتحصيل فالتقى المعري بعلمائها وأدبائها، وفي طليعتهم العلامتان الكبيران المرتضى؛ وأخوه الشريف الرضي، فكان بينه وبينهما تحاور أدبي وفكري، وعندما مات والدهما أبَّنَهُ بقصيدةٍ مطلعها:

أودى، فليتَ الحادِثاتِ كَفافِ مالُ المسيفِ وَعنبَرُ المُستافِ[1]

وكان المعري في دار السلام يتمتع بتقدير الأدباء والعلماء حتى عاد قافلا إلى بلاده المعرّة، وصار يحنُّ إلى بعض أدبائها ومفكريها، ويراسلهم بقصائد سجلت في ديوانه لعله سقط الزند وفرض على نفسه الإقامة في منزله فكان يعبر عن نفسه سجين المحبسين أي العمى ولباسه بيته وكان لا يأكل إلا وحده لعارضٍ عرض له حيث رؤي والعسل يسيل على خارج فمه فقال له الخادم إنَّ العسل يسيل على فمك ومنذ هذه الظاهرة أخذ يأكل وحده بدون أن يراه أحد ولم يتصل بحكام منطقته إلا مرة واحدة حيث وقعت مشكلة عند أهل المعرة فطلبوا منه أن يحلها عن طريق أميرهم الذي يدعى صالح وبعد التي واللُّتيَّ ذهب إلى الأمير فاستقبله استقبالاً بارعاً وقد حكى المعري هذه القصة في أبيات له وكان يعبر عن هذا اللقاء بأن كلام المعري هو سجع الحمائم وكلام الأمير زئير الأسود، واستمر المعري في تأليفه وتدريسه حتى أصدر عدة إصدارات منها سقط

---

(١) كفاف: أي تكف عني وأكف عنها. المسيف: الذي ذهب ماله، العنبر: طيب معروف يقذفه البحر، المستاف: المشموم.

الزند، واللزوميات، كتاب سماه الأيك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف مؤلف من مائة مجلد ذهب جميعه ولم يبق منه إلا المجلد الأول، ورسالة الغفران كما كتب في المتنبي أسماه معجز أحمد وفي أبي تمام أسماه حماسة أبي تمام وفي البحتري أسماه عبث الوليد، وأخذ المعري في هذه العزلة الصامته أو الهادرة حتى وافاه أجله المحتوم بعد أن ألمَّ به المرض ولم يُمهل غير أيامٍ ثلاثة وفارق الحياة في سنة ٤٤٩ هـ (آذار سنة ١٠٥٧م) ، فبعد أن انطوى من هذه الحياة ترك المعري جدالاً حول شخصيته وآراءً تدور بين الأدباء والنقاد ومنهم من يذهب إلى أنه ملحد ومنهم من يذهب إلى أنه مؤمن واستمر هذا الصراع التناقضي إلى يومنا هذا.

وقد أشرنا له في صدر هذا الكتاب وأوضحنا مرئياتنا إن الرجل شاك لم يخرج عن مرحلة الشك حتى وافاه الأجل وأما ما قرأته في مقدمة ديوان سقط الزند أن المعري لم يستطع أن يخرج من مرحلة الشك إلى مرحلة اليقين للكوارث التي مرت به ولكنَّ قلبه في مرحلة اليقين فهذا ادعاء فهل يعلم الغيب فإن الكاتب اعترف بأن المعري بقي في مرحلة الشك حتى موته وهذه المرئية هي الصحيحة كما سنثبت ذلك في هذه الدراسة من تعاملنا مع نصوصه أما قلبه فلا يعلمه إلا الله الذي يعلم ما في الصدور، وسيظل المعري مسرحاً تظهر على خشبة ذلك المسرح أفكار تتصارع في مرئياتها وتتباين في دراستها ونقدها لأن المعري شخصية مغلفة بالغموض وإذا كانت الدراسة على ضوء ما قاله من الشاعر فديوانه سقط الزند لا يحمل هذه الأفكار المتضاربة والمغلفة بالغموض والتناقض إنما التناقض والظاهرة النفسية المضطربة التي لا تخرج من مرحلة الشك في

شعره في اللزوميات أما رسالة الغفران فلم تكن رسالة غفران إنما المعري فيها ساخراً من القيم الفضلى التي تسعد البشرية في دنياها وآخرتها فهي للإنكار أقرب منها للشك ولعل هذا الإضطراب النفسي والشكوك التي تضبب آفاق نفس المعري وتغيم على دنيا فكره كليل مبطن بالغيوم لما درسه في اللاذقية وعقدة العمى التي سيرته رهين المحبسين وطعامه الذي أدمن عليه العدس ووحشته الصامتة القاتلة التي حرمته من شم الرياحين حتى عبر شعره لم يتصل بلامه باء، وأمر أن يكتب على قبره هذا البيت:

هذا جناه أبي عليَّ وما جنيت على أحد

إنَّ في هذا الحرف لنكران لنعمة الوجود التي هي أفضل نعمة أفاضها الله على عبيده ونكران ثانٍ لما أسداه والده عليه من تربية وتعليم وإعداد حتى بلغ إلى مستوى رفيعٍ كالنجم يسطع في سماء التاريخ خالداً في أحقاب السنين إنه الإنكار الجحود فماذا يريد المعري بعد هذه النعمة الفضلى التي خلدته في سماء عبقر ويهتف به الملايين بل كل البشرية ولكنَّ الإضطراب النفسي والحرمان الذاتي والإنحراف الروحي هو الذي أعطاه هذه الأفكار السوداء المظلمة.

المفارقات في شعر المعري وبواعثها

لعل من الخير أن يبحث المؤرخ أو الناقد البواعث النفسية والعناصر التربوية وما للبيئة من دور والمدرسة والبيت من تأثيرات في آفاق نفس الشاعر أو المفكر أو الفيلسوف فإن هذه العناصر التي تلعب دوراً وتؤثر في الشاعر ولا تنسى العوامل الزمنية فإنها ترتبط بتلك العناصر فيكون لها التقويم والطابع في ذلك الشاعر أو الكاتب أو الفيلسوف والذي نريد أن نحلل هنا هذه الظواهر التي تبلورت في آفاق نفس المعري كما أنّ نشير إلى ظاهرة نفسية وهي إصابة المعري في بصره وهو حدث السن لعله لم يتجاوز خمسة أعوام فكان لهذه الظاهرة دورٌ خطيرٌ وإن لم تؤثر على المعري في دراسته وفي عقله الكبير ولكنها كانت عقدة ألقت بظلالها عقداً تجسدت في حياة المعري.

لماذا كان المعري يطلع علينا بشخصيات مزدوجة فأحياناً نقرؤه موحداً لله سبحانه وتعالى وأحياناً نقرؤه زاهداً وتارةً نقرؤه ملحداً أو شاكاً وهو الرجل الذي زهد في هذه الحياة وكان يسمي هذه الدنيا بأم دفر لماذا نقرأ هذه الشخصية المزدوجة في ديوانه «اللزوميات» بعكس ما كان المعري في سقط الزند فسقط الزند ليس فيه من تزاوج الشخصية ولعلي أرد هذه الازدواجية للسني التي قضاها المعري في اللاذقية يدرس

على بعض المسيحين في الكنيسة وكان لهـذا الـدور تـأثيرٌ نفـسي عَقَّـدَ المعري، فالتلميذ صورة وظلالٌ من أستاذه، وهنـاك عامـلٌ لعلـه يتعلـق بطعام المعري وهو قصر أكله على العدس بعد أن أصيب بعقـدة عنـدما قال له أحد طلابه أو خدمه حين لاحظ على فمه عِسلاً يسيل فمنذ هـذه اللحظة صار يأكل وحده في مخدعه ولا يطلِع أحدٌ حـين يأكـل وقـصر أكله على العدس.

ويقولُ بعض من يمارسون الطهي أن العدس يعطي إضطرابات نفسية ويحدث تجشآت، وحموضة في المعدة، ولا أعرف صحة ذلـك فـلا أنفيـه ولا أثبته فإذا صحَ ذلك تجمعت هذه العناصر وخلقت من المعري شخصية مزدوجة مضطربة كسفينةٍ تحت عاصفٍ في موجٍ عتي والعناصر التي أشـرنا لها أو البواعث دراسته فيِ اللاذقية والمَحبسين العمى وحـبس الـنفس فـي جسده كما عبَّر هو عن المحبسين وطعامه وعقدته النفسية تجاه حواء حيث لم يشم ذلك التفاح أو يستنشق عطر ذلـك الزهـر لأن الأنثـى هـي الـسكن وهي الراحة النفسية وقد قالوا كل عظيم وراءه إمرأة فالمعري حرم من هذه النعمة أو بعبارة أدق حرَّمَ على نفسه.

وفيما أتصوره من رأيٍ شخصي أنَّ المعري لم يقف مـن حـواء هـذا الموقف البغيض والذي يرى فيه جناية من الأب على الابن عندما يأتي بـه للحياة في تصوري أن المعري مصابٌ بخلل في الجهاز الجنـسي أو بعقـدة نفسية حرمته هذا السكن الهادئ المطمئن إذ لا يمكن أن نتصور شخصاً فيٍ دور الشباب وهو يتدفق حياةً تتجدد مع تجدد الأيـام ألاَّ تتـصل بلامـهِ بـاء وينجب بنين والبنين إمتدادٌ لحياة ذلك الشخص إلا أن يكون مصاب بَخللٍ في جهازه التناسلي وهذا أقرب الظن وإنما نـستنتجه اسـتنتاجاً مـن مفهـوم

تاريخ المعري لا عن وثيقة تاريخية أو حقيقةٍ نستند إليها ولعلنا مصيبون فيما ذهبنا إليه أو مخطئون وهذه القراءة استشففناها من مرآة نفس المعري ومن حياته التي أحيطت به وبطبيعته التي أخرجته إلى جوٍّ شاذ عن طبيعة البشرية ولا ندَّعي الصواب في ذلك، ولهذه العناصر النفسية والتربوية خلقت من المعري شخصية مزدوجة صورتها اللزوميات في ألوان ودروبٍ متباينة ومتناقضة فنخرج من هذه الصور فنقول (المعري الشاك).



هل الشعر مرآة للشاعر

إنَّ أكثر النقاد والباحثين يجسدون أبحاثهم مرآةً لذلك الشاعر تنعكس على تلك المرآة ظلال تلك الشخصية وأفكارها وصورها ويذهبون إلى أعمق من ذلك فيصورن عقيدته وإيمانه من صور شعره وقد أوضحنا الفكرة التي هي من رؤيتنا ولا أدَّعي الصواب فللناقد والباحث أن يرى هذه الرؤية أو يفندها ودراستي هي لشاعرٍ كثر حوله القول واللغط في شخصيته وفي عقيدته وقد أشرنا لبعض آراء المفكرين والكتاب.

فالمعري هو الباحث الشاك الذي تهافت في صوره الشعرية وتناقض كل التناقض، وسوف نسوق صوراً تبرهن على ما نقوله من شعر المعري ونحللها تحليلاً دراسياً بإنصافٍ بدون تحيز وأول ما نبدأ بصورة أنموذجية من ذلك الشعر.

قال في الهمزة المضمومة مع السين والبسيط الثاني:

يأتي على الخلق إصباح وإمساءُ ... وكلنا لصروف الدهر نُسّاءُ[1]
وكم مضى هَجري، أو مشاكلهُ ... من المقاول سَرُّوا الناسَ أم ساؤوا[2]
تتوى الملوكُ ومِصر في تغيرهم ... مِصر على العهد والأحساءُ أحساءُ[3]
خسست يا أمنا الدنيا فأف لنا ... بنو الخسيسة أوباش أخسّاءُ
وقد نطقتِ بأصناف العظاتِ لنا ... وأنتِ فيما يظنُّ القوم خرساءُ
ومَنْ لصخر بن عمرو إن جئته ... صخر وخنساءه في السرب خنساءُ[4]
يموج بحركِ والأهواءُ غالبةٌ ... لراكبيه فهل للسفن إرساءُ
إذا تعطفتِ يوماً كنتِ قاسيةً ... وإن نظرت بعين فهي شوساءُ[5]
إنسٌ على الأرض تدمى هامها إحنٌ ... منها إذا دميت للوحش أنساءُ[6]
فلا تغرنك شُم من جبالهم ... وعزة في زمان الملك قعساءُ[7]

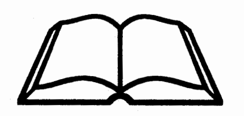
---

(١) نساء: ننسى.
(٢) الهجري: نسبة إلى هجر وهي بلدة باليمن.ـ المقاول: مفردها مقول: وهو الملك من ملوك الحيرة.
(٣) تتوى: تهلك. ـ الأحساء: اسم بلد معروف.
(٤) صخر بن عمرو بن الحرث بن الشريد أخو الخنساء الشاعرة التي اشتهرت برثائها له.
(٥) شوساء: الشوس هو النظر بجانب العين تكبراً أو غيظاً.
(٦) الإحن: العداوة. ـ أنساء: نسأت الدابة إذا سمنت ـ وانتسأت الإبل في المرعى: تباعدت.
(٧) عزة قعساء: الثابتة بارتفاع.

وقفةً تأملية معي لنقرأ هذه الفكرة المتجسدة في هـذه القطعـة التـي سجلناها فنشاهد الصور وندرسها من خلال ظروفها التـي تترجمهـا صـورة ناطقة فماذا يقصد المعري من قوله يأتي على الناس صباح ومساء أيتعاقـب الجديدين والبشر رهينٌ تحت صروف الدهر ولكنَّ البـشرية تنـسى آلامهـا عندما تزول وتلبس الفرح أو الصحة ولولا هذا النسيان الذي هو نعمـة مـن الخالق لما استطعنا أن نعيش علـى هـذا الكوكـب لحظـة واحـدة ويـستمر المعري ليصف حياة البشرية وكيف يعيـشون فـي مـضمار هـذه الحيـاة إن سرُّوا وإن ساؤوا إذ لا خيار لهم ولا يد لهم فـي تطويـع هـذه الحيـاة إنمـا التدبير لله وحده لا شريك له، ويواصل المعري فيصف صـور هـذه الحيـاة وفناء ملوكها غير أنَّ شعوبهم تبقى فمصر على العهد لا تتغير والاحساء هي الأحساء ومعنى ذلك أن أهالي المـدن تفنـى وتبقـى ديـارهم وهـذه عظـةٌ للإنسان لعله يتعظ.

والحياة لديه صورة منتنة خسيسة وأهلهـا أوبـاش خسيـسون وهـذا التغليب من المعري على البشرية لا يصح فالبشرية فيهـا الطيـب والخبيـث، وقد أصاب المعري في وصفه للحياة بأنها بحـرٌ هـائجٌ فهـي تغـرق أهلهـا بأمواجها العاصفة بالأحزان، وترديهم كما تغرق العاصفة الـسفن ثـم يخـتم المعري هذه القصيدة بزخم وصورة متحركة فيها عبرةٌ وَعبرة وفيها تحـذيرٌ من الحياة ومن لذاتها التي لا تدوم فما هي إلا لحظات وترتحل عنها ويبقى ما جنيته من خير فخير أو شر فشر، وقبل أن نختتم هذه القطعة نريد هنا أن نعلق على شُرَّاح الديوان الذين عبر عنهم بجماعة حققـوه وشـرحوه حيـث وقعوا في غلطة مفهومٍ تاريخيٍّ وهو تفسيرهم لهجر بأنها مدينة فـي الـيمن أنا أستغرب من ذلك وأتعجب كل العجب كيف بمفكرين عـرب يجهلـون

كل الجهل لتاريخهم العربي فهجر ليست في اليمن وإنما هو إسم يطلق على الأحساء، والقطيف وأَوال هذا الأقليم الذي يقع على ضفاف الخليج الغني بخيراته والذي تدفق منه الذهب الأسود وكلمة الأحساء عبَّر عنه الشراح بأنها معروفة والأحساء هو قطرٌ من أقطار الخط التي تضم الأحساء والقطيف وأوال إلى سواحل البصرة، وكذلك كلمة البحرين ترادف معاني كلمة الخط وهجر.



الهمزة المضمومة مع الياء والبسيط السادس:

قد حجبَ النورُ والضِّياءُ وَإنما ديننا رياءُ
وَهلْ يجودُ الحيا أناساً منْطوياً عنْهُمُ الحياءُ(١)
يا عالمَ السوء ما علمنا أنَّ مُصليك أتْقياءُ

وقفة معي لنشاهد المعري وهو يسخر من المصلين ويرى أن الضياء قد حجب عنه الهدى فلما حجب عنه النور ولم يبصر الهدى قال إن الدين هو سخرية والسخرية هو من لا يبصر حقيقة الهدى التي هي تنبع من فجرٍ شفاف يتدفق موجات من الضوء في قلوب الذين اهتدوا وأبصروا ما جَاء به الرسول الخاتم ﷺ والأنبياء الذين أشاد بهم كتابنا المنزَّل من الله فآمنا بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر وهذا ما أشرنا له من أنَّ المعري يتقمص نفوساً شتى لذلك أطلقنا عليه المعري الشاك وهذه القطعة تبرهن على ما دللناه من رؤية حسية سنلمسها القارئ في صور ومشاهد واقعية .

(١) الحيا: الغيث ـ الحياء: الاستحياء.

الهمزة المفتوحة مع السين:

روُيدَكَ قد غُررتَ وأنت حرٌ	بصاحب حيلةٍ يعظ النساءَ
يحرّمُ فيكمُ الصَهباءَ صُبْحاً	ويشربها على عَمْدٍ مساءَ
تحسّاها فمن مَزْجٍ وصرفٍ	يَعُل كأنما وردَ الحساءَ[1]
يقول لكم غدوتُ بلا كساءٍ	وفي لذّاتها رهن الكِساءَ
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى	فمن جهتين لا جهةٍ أساءَ

هنا عند هذه القطعة الفنية التي انسكب فيها الفن كانسكاب الضوء من الضوء حيث الشاعر جسد صوراً للشخصية المزدوجة التي تلبس لباسين وتظهر في عدة مظاهر فإنّ هذا الشخص الذي يلبس شتى اللباسات يغر الكثيرين وهو يعظ النساء ولكن لا للوعظ وإنما لغايات دنيئة يخفيها وراء ستار ويحرم الصهباء ولكنه يشربها عمداً بدون استحياء من خالقه وحتى تضطره لرهن كسائه ليصرف ذلك الرهن في لذاته ويختم المعري هذه القطعة الفنية بخاتمة فيها زخم وعظة فكل فتًى يعمل ما ينهى عنه فهو أساء من جهتين لا جهةٍ واحدة وهذا مثال إلى تصوير واقعي ملموس وفيه فنٌ وبلاغة.

---

(١) الحساء: إسم مكان ماء لبني فزارة بين الربذة والنحل.

الهمزة المكسورة مع السين:

توحّدْ فإن الله ربكَ واحدٌ	ولا ترغبنْ في عشْرَةِ الرؤساءِ
يُقلُّ الأذى والعيبَ في ساحة الفتى	وإن هو أكدى قلة الجلساءِ[1]
فأُف لعصرَيهم نهارٍ وحندسٍ	وجنسيْ رجالٍ منهمُ ونساءِ[2]
وليتَ وليداً مات ساعةَ وضعهِ	ولم يرتضعْ من أُمّهِ النفسَاءِ
يقولُ لها من قبلِ نُطق لسانهِ	تُفيدينَ بي أن تنكبي وتُسائي

وتأمل معي أيها القارئ هذه القطعة حيث يبدأها المعري بتوحيد لخالقه ويكون في مطلعها من الرجال الموحدين إلا أنه يختمها بخاتمة يناقض أولها حيث يصرح فيها عن مرئياته التي تنحرف عن طبيعة الإنسانً التي تبذل جميع إمكانياتها في الخلف لها لامتداد حياتها بالولد فيرى أن الولد جنايةٌ جَنَتْ عليه أمه النفساء وهذه الرؤية يكررها في اللزوميات وهي شاذة عن طبيعة الإنسان وقد حلَّلْنا هذه الظاهرة النفسية في الحديث السابق.

---

(١) أكدى: قل خيره وافتقر.

(٢) حندس: الظلمة.

الهمزة المكسورة مع الميم:

وقد بانْ أنّ النحسَ ليس بغافلٍ | لـه عمـلٌ فـي أنجُـمِ الفُهمـاءِ
ومنْ كان ذا جودٍ وليس بمكثرٍ | فليسَ بمحسوبٍ من الكرماءِ
نهابُ أموراً ثمّ نركبُ هَوْلها | على عنتٍ من صاغرينِ قِماءِ[1]
أفيقوا أفيقوا يا غواةُ فإنما | دِياناتكمْ مكرٌ من القدماءِ
أرَادُوا بها جمعَ الحُطام فأدركوا | وبادوا وماتتْ سنّةُ اللؤماءِ
يقولون إنّ الدهر قدْ حان موتُهُ | ولم يبقَ في الأيام غيرُ ذَمـاءِ[2]
وقد كذبوا ما يعرفون انقِضاءَهُ | فلا تسمعوا من كاذب الزُّعماءِ
وكيف أقضّي ساعة بمسرةٍ | وأعلمُ أنّ الموْت من غُرَمائي
خُذوا حذراً من أقرَبين وجانبٍ | ولا تذهلوا عن سيرة الحُزَماءِ[3]

يؤسفني أن أقف أمام هذه القطعة موقف الذاهل أو الأسيف لهذا الشاعر الكبير حيث يتطاول فيها ويسطِّر كذباً ويلصقه بالأنبياء والرسل ولا أريد أن أبدأ بتصوير هذه القطعة فقد أساء فيها المعري إساءةً لا حدود لها حيث تطاول على أشرف الخلق وهم الأنبياء وجعل سنتهم هي سنة اللؤماء أستغفر الله من هذا القول الزائف الذي لا يركن لحقيقةٍ إنما هو بخارٌ متولدٌ من أكل العَدَس.

---

(١) صاغرين: من الصغار وهو الذل والهوان. ـ قماء: يقال قمئ الرجل إذا تصاغر.

(٢) ذماء: الذماء بقية الروح في المذبوح.

(٣) جانب: يقصد به هنا الغريب. ـ الحزماء: الذين يحزمون الأمور.

وقال أيضا في الباء المضمومة مع الذال:

إذا أقبل الإنسان في الدهر صُدقت أحاديثُهُ عن نفسه وهو كاذبُ

أتوهِمني بالمكر أنك نافعي وما أنتَ إلا في حبالكَ جاذِبُ

وتأكلُ لحم الخِلِّ مستعذباً له وتزعمُ للأقوام أنك عاذِبُ

وقفةً أيها القارئ لنشاهد المعري في مشهد متحرك فإن الحياة حركة فإذا وقفت الحركة ماتت الحياة، وانطفأ وهجُها فالمشهد هنا الذي يتحرك في منظره وفي حركته التاريخية في مجتمع الإنسان عندما يقبل عليه الدهر فيصدق في أحاديثه وإن كانت تلك الأحاديث مسطرة من حروف مزورة ويخادع صديقه، وهو يقطِّع لحمه كأنه يشرب ماءً عذباً سائغاً شاربه، إنّ هذا الوصف للمجتمع لعله ينطبق على بعض الشرائح منه في كل دورٍ وعصر، فهنا المعري أبدع في وصفه ووصف الواقع المرير.

وقال أيضا في الباء المضمومة مع الجيم:

لا يُغبَطن أخو نعمى بنعمته ... بئسَ الحياةُ حياةٌ بعدها الشجبُ[1]

والحسُّ أوقَعَ حيّاً في مساءته ... وللزمانِ جيوشٌ ما لها لجبُ

لو تعلم الأرض ما أفعال ساكنها ... لطال منها لما يأتي به العجبُ

بدء السعادة أن لم تخلق امرأة ... فهل تود جمادى أنها رجبُ

ونشاهد المعري في مشهد متحرك آخر يصف فيه الحياة وما فيها من غروبٍ وألوان وما تقوم به البشرية من أفعالٍ على هذا الكوكب المتحرك حولٍ الشمس في دورته الزمنية ويصور المعري حياة الإنسان التي لا هناء فيها لأنها يعقبها الموت الذي لابد منه، وعند المعري يكمن الداء بالحس الذي عبَّر عنه ولعله يقصد بذلك الشعور العميق المرهف، فلولا الشعور لما عرفنا مذاق الحياة ولا فرقنا بين الحلو والمر وبين تلك المفارقات كالترح والفرح ويصور الزمان أنَّ لديه جيوشاً جرارةً، وهو في هذا المشهد واعظٌ ويا ليته يستمر على هذه الوتيرة، إلا أنَّ المعري لا يقف رأيه على سمت واحد إنما يتقلَّب بمفارقات وتناقضات تقرؤها في (اللزوميات)، ويمضي المعري بمشهده فيرى السعادة بعدم اتصالك بالمرأة لأن المرأة هي شقاء الحياة، ويرى أن بدء السعادة قبل أن تخلق المرأة ولبغضه للأنثى ودَّت جمادى أن تخلع التأنيث وتتحول إلى مذكر وهو شهر رجب.

---

(١) الشجب: الهلك.

وقال أيضا في الدال المضمومة مع العين وياء الردف:

إنْ صحّ لي أنني سعيدُ فليتني ضمّني صعيدُ
صُمْتُ حياتي إلى مماتي لعلّ يومَ الحِمامِ عيدُ
وراعني للحسابِ ذكرٌ وغرّني أنه بعيدُ
وعنْ يميني وعنْ شمالي يَصْحبني حافظٌ قَعيدُ[1]
حمامةٌ في غصونِ أيكٍ ناحت فأنشأتُ أستعيدُ
وما فَقِهتُ المراد منها كلُّ فقيهٍ له مُعيدُ
إذا رَجَونا قضاء وعدٍ فكيفَ لا يُرْهَبُ الوعيدُ

وعندما نقف عند هذه القصيدة ونقرؤها نلمس فيها فناً شعرياً ونشاهد فيها مشهداً إيمانياً وصورة ناطقة تتحدث عن رجل يؤمن بالموت ويرى نفسه سعيداً عندما يضمه ذلك القبر، ويضيف المعري أنه تمسك بحياة فاضلة إلى يوم الممات، وتأخذه الرعدة والهول ليوم الحساب ولكنه بشرٌ يغره بُعده وليس ببعيد ولكنّ هذا التعبير لعله خانه بوصف يوم الحساب بالبعد، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[2].

وفي هذا المشهد يعترف المعري للحفظة والكتّاب الذين عن اليمين وعن الشمال يحصون ما يعمله الإنسان في ساعات حياته إن خيراً فخير

---

(١) حافظ: ملاك.

(٢) سورة المعارج، الآيتان: ٦-٧..

وإن شراً فشر وهذا من مشهد الإيمان الذي يسطع ضوءاً أحياناً على المعري وأحياناً ينطفئ عنه، ويواصل المعري في هذه القصيدة وهو يصغي إلى حمامةٍ ترسل ألحانها المتفجعة من على غصنها الوريق فيردد لحنها المتفجع فيٍ لوعةٍ ودمعة، ويطوف في مشهده التصويري وهو لا يفقه من ألحان تلك الحمامةً ذلك اللحن إلا أنه لحنٌ حزينٌ ويشركُ في عدم فهمه فهم كل فقيه ويختم هذه القصيدة ببيتٍ إيمانيٍّ، فهو يصور أي خلف في الوعد نرجو قضاءه وكيف لا نرهب الوعيد من خالقنا ونختم هذه القطعة بهذه الجمل العظيمة التي نخاطب بها مولانا وخالقنا من فقير مطلق إلى غنيٍّ مطلق «يا من إذا وعد وفى وإذا توعد عفى» فليسمع أبا العلاء المعري من وراء الحجب إذا كان يسمع.



وقال أيضاً في الدال المضمومة مع الهاء وواو الردف:

تفَوَّهَ دهركم عجباً فاصغوا | إلى ما ظلّ يخبرُ يا شهودُ
إذا افتكرَ الذينَ لهم عقولٌ | رأوْا نبأً يحقُّ لهُ السُّهودُ
غدا أهلُ الشرائع في اختلافٍ | تُقضُّ به المضاجعُ والمهودُ
فقدْ كذَبَتْ على عيسى النصارى | كما كذَبَتْ على موسى اليهودُ
ولم تستحدِث الأيام خُلقاً | ولا حالتْ من الزمنِ العهودُ

ونقف مع المعري في هذه القطعة لنشاهد تحوله من القطعة الماضية وتناقضه إلى مشهد القطعة الحاضرة فتصور معي كيف جعل للدهر منطقاً يفوه به وطلب الإصغاء له وأقام شهوداً ليلخص رأيه في الأبيات التاليه بعد البيت الذي أشرنا إليه فأشار المعري في مشهده التصويري متى افتقر الذين لهم عقول إلى أخبار ماضية أو حاضرة لم تداعب عيونهم أطياف النوم بل ينامون مسهدين ولاً أعرف لماذا هذا التسهيد ويخلص إلى أنّ الأنبياء أصحاب الشرائع هم في خلاف طويل بحيث هذا الخلاف يقضُ أصحاب المضاجع والأطفال الذين في المهود وهذه الفكرة هي عكس ما جاءت به الشرائع والأنبياء والرسل فإن كل شريعة تؤيد الشريعة السابقة وتنص على ما جاءت به لأنها كلها وحيٌ من الله، وهدفها توحيد الخالق حتى روي عن رسول الله ﷺ ما مضمونه إنني وما جاء به النبيون قبلي هي كلمة (لا إله ألا الله) فأين الخلاف بين الشرائع الذي زعمه المعري، وهذه فكرةٌ خاطئة لعلها تقارب الإلحاد أو الشك، ولا أفهم ماذا يقصد المعري بكذب اليهود

على النبي موسى وكذب النصارى على النبي عيسى حيث لم يوضـح ذلـك أو لعلني لم أصل لمراده، والشرائع السماوية كلها تـسير فـي طريـق واحـد ويجمعها ضوء واحد هو توحيد الخالق وتنزيهه لا شريك له ولا بديل عنه، ويغلف بيته الأخير بمعنى غلاف مضبب عـائم حيـث يقـول إن الأيـام لـم تستحدث خُلقاً ولم تتبدل العهودَ وماذا يقصد بهذا التبـديل والحـدوث إن كان يشير للرسل والأنبياء عليهم السلام وعلى نبينا الـصلاة والـسلام فالأنبيـاء بـدلوا الحياة وزرعوها خُلُقاً عظيماً وسعادة في الدنيا والآخرة، وإن كان يشير إلـى الزمن فالزمن هو مخلوق ويسير بأمر الله.



وقال أيضاً في الدال المضمومة مع اللام:

كوني الثريّا أو حضارِ أو الـ   جوْزاءَ أو كالشمس لا تلدُ(1)

فلتلكَ أشرفُ مِن مؤنّثةٍ   نجلتْ فضاقَ بنسلها البلدُ

ويعود المعري ليصور في هذين البيتين ويجسد نفوره من الأنثى ريحانة الرجال ونصف الرجل والرئة التي يتنفس منها المجتمع فاقرأ هذه الفكرة الشاذة للمعري فيجرد ضميراً أنثوياً يخاطبه ويطلب منه أن يكون أحد الكواكب أيهما تختار من هذه الكواكب والفضل فيها أنها لا تلد، وفي رأيه هذه الكواكب أفضل من الأنثى لأن الأنثى تلد وقد يضيق بنسلها البلاد وهذه الفكرة تناقض وتخالف ما جاء به النبيُّ ﷺ الخاتم سيد الخلق تناكحوا وتناسلوا فإني أُباهي بكم الأمم يوم القيامة.

(1) حضار: إسم نجم.

وقال أيضاً في الدال المفتوحة مع الجيم:

تَرومُ بجهلكَ لقيَا الكرَامِ ولست لذي كرَمٍ واجدَا
وتحسبُ أن التقيَّ الذي تشاهدهُ راكعاً ساجدا
تنبّه فأنْتَ على غرَّةٍ أخالكَ مستيقظاً هاجدا

ويعود المعري ليصور لنا مشهداً من الحياة الاجتماعية فيصف تلك الحياة في قطعة لا تتجاوز الأبيات الثلاثة فاسمعه ماذا يقول إنَّ أفراداً من المجتمع يريدونٍ أن يبذلوا لمجتمعهم نفعاً ولكنهم عاجزون عن ذلك النفع لأنهم غير واجدين أو لعله يقصد معنًى ثاني أن ذلك الفرد يتظاهر بالغنى وهو لا يملكه فيتلبس بأداةٍ أخرى ليصطاد بتظاهره الكرم والبذل ويظهر بمظهر التقي في ذلك المجتمعٍ المخدوع، فينفي ذلك التقي إذا انحصر تقاه في الركوع والسجود، فإن هذا التفسير يصح إذا كان ذلك الفرد يتظاهر بالركوع والسجود لغير الله، وإنما هو منظر ليصطاد به الآخرين، فهذا غير التقي وإن كان ركوعه وسجوده لله فهذا منظر من مظاهر التقى، ويواصل المعري نصيحته إلى المجتمع فيهتف به منبهاً بعد أن وصف التقي في رأيه، فإن المرء يعيش على غرة من أمره فهو يعيش في يقظةٍ وفي ثبات .

وقال أيضاً في الدال الساكنة مع السين:

تغيّبْتُ في منزلي بُرْهةً ستيرَ العيوبِ فقيدَ الحسدْ
فلمّا مضى العُمر إلاّ الأقل وحُمّ لروحي فراق الجسدْ
بُعِثتُ شفيعاً إلى صالحٍ وذاك من القومْ رأيٌ فَسَدْ
فيسمَع مِنيّ سجعَ الحمامِ وأسمع منه زئيرَ الأسد
فلا يعْجبّنيّ هذا النفاق فكم نفَقتْ مِحنةٌ ما كسدْ

ولنسمع المعري في حياة تصويرية فهو يجسد عزلته وانفراده في محبسه أي بيته فهو منعزل عن النّاس لا يزور ولا يزار أرخى على عيوبه ستارٌ لا يشف منه تلك العيوب ولا يحسد الناس وعندما قرب أجله وحم جسده طلب منه مجتمعه أن يتوسط إلى أميرهم صالح لحل مشكلة ألمّت بهم فاستجاب لهم وذهب إلى ذلك الأمير فكان تعبير المعري تعبيراً رائعاً عندما تكلم مع الأمير كان المعري يسمع ذلك الأمير سجع الحمام ولكن الأمير يقابله بزئير الأسد، وهنا المعري كأنه نائم فيستيقظ فيذم وينتقد هذه المقابلة ويصورها بصورة النفاق وبيع الضمائر الكاسدة التي لا تنفق إلا بهذه التجارة.

وقال أيضاً في الراء المضمومة مع الحاء:

أمّـا القـيامة فـالتنازع شائـعٌ فيـها ومـا لخبيثهـا إصـحارُ

قالـت معاشـرُ مـا للؤلـؤِ عـائمٍ يومـاً إلـى ظُلَـم المِحـارِ محـارُ

وبدائـعُ اللهِ القـديرِ كـثيرةٌ فيـخُورُ فـيها لـبُنا ويحـارُ

هـذي حروف اللفظِ سطرٌ واحدٌ منـها يُؤَلّـفُ للكـلامِ بِحـارُ

افْـهِمْ أخـاكَ بمـا تـشاءُ ولا تُبَـلْ يـا حـارِ قلـتَ هنـاك أو يـا حـارُ

غرضُ الفتى الإخبـارُ عمـا عنـده ومـن الـرجالِ بقولـهِ سـحّارُ

لـم تـأتِ آصالـي بمـا أنـا شـاكرٌ منـها فتفـعلَ مثلـهُ الأسـحارُ

ويؤسفني أن أعود وأرى شاعرنا الفيلسوف المعري يصور في هـذه القطعة ويطل علينا من حروفها في صور شخصيات متلونة فشخصيةٌ تـرى يوم الميعاد الذي هو لا ريب ولا إشكال في إتيان هذه الساعة التي هي يوم الفصل للناس جميعاً يوم يقـوم النـاس لـرب العـالمين ولـست أدري مـاذا يقصد بوصف القيامة بالخبيث فالوصف على ظاهره هو إلحـادٌ وزندقـة إلا إن كان عند المعري تأويلٌ فأنا أستغفر الله من هذا الهذيان، والبيـت الثـاني الذي يلي فيه ضباب مكثف كالمحار الذي في ظلمة، فهـل المعـري يفـسر يوم القيامة كاللؤلؤ العائم في المحار الذي محاره في ظلمة البحر وهل يريد المعري باللؤلؤ البشرية ويمثلها بالجواهر التي هي في المحار لم نصل إلـى ما يريده فالمعنى مضبب ويعوم وراء الضباب أما البيت الثالث فأطلـت مـن

حروفه شخصية موحدة حيث إن بدائع الله التي تتجلى للبشر كثيرة واضحة المعالم يحار فيها كل مفكر ولكنه يخرج منها إلى أن الله قديرٌ واحدٌ فـردٌ لا شريك له، ويواصل المعري مقولته فيضرب مثلاً بالحرف وهـو فـي أسـطرٍ ولكن تلك الأسطر تموج بالبحور وليس هذا غريـب علـى قـدرة المعبـود الخالق وينبه الإنسان مخاطباً أن ينبه أخاه على هـذه المعـاني البديعـة غيـر مفرِقاً بالنداء للترخيم أو بدونه، فليس للترخيم في النداء أو عدمـه فـي رأي المعري تأثيرٌ إنما هو الغرض إفهام ما تريده لأخيك، ويختم قطعته بخاتمـة أن أصاله لم تأتِ له بشكرٍ فترضيه وكذلك أسحاره وهل لهذا البيت تفـسيرٌ يقصده المعري غير سخطه على الحياة؛ الله أعلم بمـا فـي ضـميره ونتركـه لخالقه فهو البصير به.

وقال أيضا في الراء المضمومة مع الطاء والمتقارب الثالث:

لعمْري لقدْ فضحَ الأوّلينَ ما كتبوهُ وما سطّروا
وقد علِمَ اللهُ أن العبادَ إنْ يُرْزقوا نِعمة يبطروا
وإن عجبوا لاحتباسِ الغمامِ فاعْجبُ من ذاكَ أن يمطروا
كأنّهمُ لقديمِ الضلالِ جِمالٌ على نهجها تقطرُ
إذا القومُ صاموا،فعافوا الطعامَ قالوا المُحالَ فقدْ أفطروا

وقفةً معي أيها القارئ لنقرأ هذه القطعة ونلج في أعماق هذه القطعة وننساب بين حروفها ونجسد ما دارت عليه من معانٍ.

فالمعري ينتقد الأولين حيث إن ما كتبوه وسطروه كشف عنهم الستار وفضحهم لأنهم انحرفوا عن الطريق الصحيح وإذا كان المعري يرمز لزيف التاريخ وما لحق به من أهواء وعواطف فهذا واقع ملموس وإذا كان يرمز إلى معنًى غير هذا فلا نوافقه والله يعلم ماذا يقصد.

ويستمر المعري في هذه القطعة فيظهر من حروفها شخصية واعظة ترشد البشر إلى حياةٍ فضلى فيصور العباد كيف لا يشكرون نعم الله بل يتخذونها بطراً ويستمر في هذه الموعظة، فيعجب من البشر عندما يحبس عنهم الغمام كيف يتأففون، وأعجب عنده إمطارهم لأنهم يعيشون في ضلالٍ كأنهم جِمَالٌ تائهةٌ في صحراءَ تقطروا، ولعله أراد وصف الجِمَال

لتقطر العرق الذي يتصبب منها عندما تضرب كبِدَ الصحراء في جوٍّ ملتهب ورمال سمراء تتوهج، وأما البيت الخاتمة لهذه القطعة فالمعنى فيه عائم مضبب يحتمل معانٍ كثر وعدة وجوه متلونة فأترك تفسيره للقارئ وما يعرفه عن المعري مِن حياةٍ متناقضة تضرب بعضها بعض.



وقال أيضاً في الراء المفتوحة مع الميم:

إذا رَدنتْ فيما يعودُ لطفلِها ... بنفعٍ فآمرها ورجِّ إمارها [1]
وجنّتُكَ الأولى عرُوسك وافقت ... رِضاكَ فإن أجنَتْك فاجن ثمارها
وما هذه الدنيا بأهلِ وديعةٍ ... فلا تأتمنْها قدْ عرفْتَ أمارها
ولا أحمدُ البيضاءَ تشرِبُ محضها ... ويسقى بنيها والنزِيلَ سمارها [2]
وتترُكُ جمر الزّوجِ يخبو لرحلةٍ ... إلى الرُّكن والبطحاء ترمي جمارها
وأوْلى بها من بيتِ مكة بيتُها ... إذا هيَ قضّتْ حجّها واعتمارَها
متى شربتْ خمراً فلستُ بآمنٍ ... عليها غوياً أن يحلّ خمارها
فقدْ عريتْ بالكأس من كل ملبسٍ ... جميل وألقتْ في حشاك خُمارها
مع القمر الساري تعلّقَ ودُّها ... فما بذلتْ للخلّ إلاّ قِمارها
وخيرُ النساءِ الحامياتُ نفوسَها ... من العارِ قبل الخيل تحمي ذمارها
أرانيَ غمراً بالأمورِ ولم أزلْ ... أجوبُ دُجاها أو أخوض غمارها
وأفضلُ من مزمارِ شَرْبٍ نعامةٌ ... تُكرّرُ في السّهبِ الرحيبِ زمارها

وقفةً معي لنشاهد هذا المنظر الرائع الذي تمرد على طبيعة المعري وقفز من أفق نفسه قفزةً لولبية خشينا عليه أن يصاب من هذه القفزة بعرَجٍ

---

(١) الردن: الغزل على المردن. ـ وآمرها: شاورها.

(٢) المحض: اللبن الخالص. ـ والسمار: اللبن الممذوق.

حيث إنه تحدث في هذا المشهد التصويري عن حياة المـرأة التـي لا غنـى عنها في الحياة للرجل بل هي حياة الرجل والرجل حياة المـرأة، فيـصح أن نقول لا حياة لمرأةٍ بلا رجل ولا حياة لرجل بلا امرأة بل كل مكمل للثـاني، والمعري هنا ينزلُ من برجه العاجي فيطلب من الرجل مـشاورة المـرأة أي إشراكها في الرأي، وهي تؤدي وظيفتها الرائعة على مغزلها تغزل به ما تشاءُ من الغزل، وينفلتُ منه وصف حبيب يليق بوصف المرأة؛ فهي جنة الرجـل وعروسه وهو يجني ثمار تلك الجنة كما تجني هي ثمار ذلك الرجل، وهذا الوصف رائعٌ في تصـوير الحياة الزوجية وهذه القطعة نـشاهد فيهـا منـاظر غريبة على حياة المعري بالنسبة للمرأة في حياته ومرئياته التي تشذ وتباين طبيعة الإنسان ولكنَّ المعري قد يفلت منه مـشاهد تنـاقض بعـضها بعـض ولكنَّ المرأة في مرئياته تسير في حياته على وتيرة واحدة هو بغض المـرأة والشذوذ عن المرأة كما يصورها في شـعره وحرمانـه مـن أن يـشمَّ ذلـك الريحان أو يتمتع ببسمةٍ من بسمات الأقمار المضيئة أو تمـر علـى جراحـه كفٌ ملائكيٍ تمسح تلكَ الجروح وتخفف من ويلات هذه الحياة وأن أترك القارئ ليقرأ بقية هذه القطعة بدون شرحٍ لها ليخرج منها بمرئياته وما يصل إليه من أفكارٍ يجنيها من هذه المعاني.

وقال أيضاً في الراء المفتوحة مع الفاء والمتقارب الثالث:

بَنــي آدمٍ كلُّكــمْ ظالــمٌ فـما تنْـصفُ العـين أشـفارَها
وقـدْ أهِلَـتْ بالخنـا دارِكـمْ فــلا أبعَــدَ اللّهُ إقفــارها
ويْلَهُــمْ نُـساكَها تُرْبُــها كـما ظـلّ يلـهِمُ كفارهــا[١]
فهـلْ قــامَ مِـنْ لحـدهِ ميْـتٌ يعيـبُ علـى النفسِ إخفارَهـا
يقــولُ جَنيــنا ذُنوبــاً لنــا وجَــدنا الــمُهيمنَ غفارَهــا
كــأنّ حيــاةَ الفــتى ليلــةٌ يُرَجى[٢] أخـو اللُّـبِّ إسـفارَها
مضى المرءُ موسى وأضحتْ يهو د تتلـو علـى الّهـرِ أسـفارَها
نُقلــمُ للنُــسكِ أظفــارَنا وطوّلــتِ الــهندُ أظفارَهــا

وهنا يعود المعري في مشهد هذه القطعة إلى أفكاره السوداء التي تنبعث من طعامه العدسي فيصور ضباب شكوكه في هذا المنظر فيبدأ بوصف ظلم الإنسان وعدم إنصافه لأخيه ويضرب مثلاً فإنَّ العين لا تنصف أشفارها وهو بعض منها كما لا ينصف الإنسانُ الإنسانَ وهو بعضٌ منه وهذا كلامٌ رائع، ويستمر في وصف حياة الإنسان، فيصورها مزروعة بالخنا وهي آهلة به ويدعو عليها بإقفارها كأنها صحراء مجدبة، وهنا يحيد

---

(١) يلهم: يبتلع ويزدرد.

(٢) هكذا وجِدَت بالديوان (اللزوميات) الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ وأظن الصحيح يرَجّى حتى يستقيم الوزن.

المعري عن طريق الحق والإنصاف فيساوي النساك بالتهام الحياة أي في عدم المبالاة بما فيها من ثمار وأزهار يلتهمها النساك كما يلتهمها الكفار وهذا كلامٌ لا ظل له من الواقع فالناسك هو الذي يخشى الله ويتجنب معاصيه ويدخل في طاعاته ويتساءل المعري في سؤالٍ فيه إبهام ويتجاهل الحقيقة فيسأل هل عاد ميتٌ إلى الأحياء ويخبرهم عما شاهد من الغفران من الخالق وماذا وراء القبر وهو يعرف حقيقة ذلك إنَّ البرزخ فيه عذاب ونعيم، النعيم للمطيعين، والعذاب للعاصين حتى تقوم القيامة، فتجزى كل نفس بما عملت، وأما وصفه في مشهده التصويري في حياة الفتى كأنه ليلةٌ كلنا نرتقب سفر ذلك اليوم لنرتحل فيه إلى فاطر السموات والأرض خالق كل شيء فهذه موعظة وبرهان ساطعٌ ولمن يقف على بيتيه الأخيرين، ففيهما انحرف إلى كلام هراءٍ عبَّرَ عن النبي موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، تعبيراً لا يليقُ بالأنبياء وأكمل نقصه بسخرية حول التوراة لا أحب أن أسجل هذا الكلام واستمر في هذيانه فجعل النسك في تقليم الأظافر وتطويلها كما فعلت الهنود، وهذا من آرائه التناقضية التي لا تقف عند حدٍ، وشكوكه الليلية.

وقال أيضاً في آخر ثلاثة أبيات في الراء المكسورة مع الهاء:

يقولـون تـأتي فوقنـا مثـل مـا أتـى ... بنو الأرضِ في حال السرار أو الجهرِ

فياليتَ شعري هل تراعُ من الـردى ... تركعُ نسـكاً بالعِشاءِ وبالـظُّهرِ

وتكـذبُ إنّ الـمينَ فـي آلِ آدمٍ ... غـرائز جـاءَتْ بالـنفاقِ وبالـعهرِ

ونقف ههنا نتأمل في هذه المقولة من قولة أبي العلاء المعري حيث أشار في مشهده التصويري لبني الأرض أنهم يأتون بأعمال لا تليق في السر والجهر ويفسر هذا القصد البيتين اللذين يليانه حيث يقول إن الموت لا يردع الإنسان عن أعماله المنكرة وليت الإنسان في نسكه إذا كان راكعاً أو ساجداً وفي الصباحِ وفي العشي نسكاً ظاهراً مخلصاً لله لأن الإنسان يرتكب الأعمال القبيحة كالمين والفجور، ولعل هذه الأبيات موعظةٌ للبشرية إن كان تفسيرنا هو الذي يريده المعري.

وقال أيضاً في بيت من قطعة في الراء المكسورة مع الكاف:

دعِ النسلَ إنّ النسل عُقباه ميتَة ويُهجر طيب الراحِ خوفاً من السكرِ

ونشاهد المعري يعود ليحارب التناسل الذي به تعمر الأرض ويعبد الله ويطاع، فينهي المعري الإتسان عن التناسل لأن التناسل موت في مرئياته، كما يُهجر الخمر خوفاً من السكر وهذه مقولة من النوادر الشاذة التي علقت بطبيعة المعري، ولحقت به حتى موته ولعلها ناتجةٌ عن اضطرابٍ نفسي وفكري.

* * *

وقال أيضاً في الراء المكسورة مع الذال آخر ثلاثة أبيات:

تُخوفُنا من أمّ دَفر خديعةً ومكراً فلم تَذْرِ الدموع ولم تُذرِ
عدمناكِ دنيانا على السخطِ والرضا فقد شفنا زرْعٌ تكوّن من بَذرِ
وإنا لعُذرِيُّونَ فيكِ من الهوى ولسنا بعُذريينَ فيكِ من العذرِ[1]

ونرى المعري يعود ليعظ البشرية ويحذرها فيشير إلى التخوف من أم دفرٍ وخداعها، فنحن نسكب الدموع عليها بحبنا لها وهي لا تذري الدموع وهي لا تشاركنا في حبنا وتشوقنا لها، ويتبع موعظته بالدعاء على محو الدنيا وفقدها في سخطها ورضائها حيث يستشف من ذلك إنما هي بذر أو نبتةٌ نبتت من شقوق الأرض، ويعلل دعاءه على الدنيا بأنه كالعذريين في غرامهم الذين لا يتمتعون من حبيبتهم إلا بنظرة بعيدين كل البعد عن الحياة المادية التي ينغمس فيها أرباب العهر.

(١) العذريون: بنو عذرة.

وقال أيضاً في الراء المكسورة مع الكاف:

إذا سعدَ البازي البعيد مغاره ... تأدّى إليه رزقه وهو في الوكرِ
ويحوي الفتى بالجدّ مال عدوه ... على رغمه من غير حرصٍ ولا مكرِ
ولوْ نحِسَتْ طيٌّ لألحقَ حاتمٌ ... بحيٍّ سواها مثل تغلب أوْ بكرِ [1]
وما أمدٌ في الدّهر يبلغُ مرّةً ... بأبْعَد مما نالهُ المرءُ بالفكرِ
كلوا طيّباً فالطيّبُ فيما طعِمتم ... يبينُ على أفواهكم خالص الشكرِ
وقد لاحَ شيبٌ في الذرا فصحوتم ... وصحّ لكم أنّ الشبابَ من السُّكرِ
فلا تنسَوُا اللهَ الذي لوْ هُديتم ... إلى رُشدِكمْ مازال منكم على ذكرِ
ولا تنكروا حقّ الكبير فإنهُ ... لأوْجبُ مما تعرفون من النكرِ

وقفة معي أيها القارئ لنشاهد المعري في مشهدٍ إيمانيٍّ فيه من التصوير والإبداع حيث يوجه للبشرية إرشاداتٍ ضوئية وفي تلك الإرشادات إشارة إلى أن البشرية ما دامت هي على صلة بربها فإن الله سبحانه وتعالى له العناية بها، وهذه نظرة واقعية تتفق مع المعري فيها، ونخالف المعري في ظاهرة واحدة، وهي حصر نعم الله على المطيع في هذه الدنيا دون العاصي هذا غير صحيح فإن رحمة الله وسعت في هذه الدنيا المؤمن والكافر، ونترك للقارئ مرئياته في هذه القطعة.

---

(١) طي: قبيلة حاتم الطائي المشهور بالجود. وتغلب وبكر: قبيلتان من وائل كانت بينهما حرب البسوس الشهيرة.

وقال أيضاً في الراء المكسورة مع الياء:

لِنفسيَ أن تنأى عن الجسم روعة ... كروعةِ أنثى أُجليَتْ عن ديارها
فإن رحلتْ بالرّغمِ عن مستقرّها ... فما كان سُكناها له باختيارها
ففوزوا بنُسكٍ في الحياةِ وثبتوا ... لأقدامكُم في الأرض قبل انهيارها
وإن تُعظموا في دينكم جُمعاتكم ... فإن رجالاً أولِعتْ بشيارها [1]

وقفةً معي أيها القارئ لنقرأ للمعري، وهو يصف النَفْسَ كيف تقضي هذه الحياة ولها روعةٌ كروعة الأنثى، حين تجلى من ديارها كما تفارق الروح ذلك الجسد، فالمعري يتساوى عنده مجيء الروح للجسد أو مفارقته فكلا الحالتين بالرغم منها لا بالاختيار، وما دامت الروح لا خيار لها في المجيء والرحيل فعلى المرء أن يفوز بهذه الدنيا بطاعة الله ويتنسك قبل أن يغادر هذه الدنيا ويحين يوم البعث، ولعل تعبير المعري بانهيار الأرض وهو يوم البعث، ويعود المعري فيهون بمرثياته تعظيم المسلمين ليوم الجمعة ويساوي المسلمين بتعظيم الجمع لتعظيم اليهود ليوم السبت ونسيَ المعري أو تجاهل ما في يوم الجمعة من فضلٍ وأجرٍ لا يحصى .

---

(١) الشيار: يوم السبت.

وقال أيضاً في الراء المكسورة مع الباء الموحدة:

إذا كنتَ لا تستطيع دفع صغيرة ألـمّتْ ولا تـسـطيعُ دفـع كـبيرِ
فـسلِّم إلى الله المقـادير راضـياً ولا تـسألـنْ بـالأمرِ غـير خـبيرِ
ولــيس بغـالٍ ناصــحٌ تـستفيدهُ ولـوْ كـان مـن تـبر بمثل ثبيرِ[1]

ونقرأ المعري في هذه القطعة فنراه موحداً حيث يقول ان المرء فـي هذه الدنيا لا يستطيع أن يدفع أي ملمة من البلاوي الزمنية التي تنتابه مهمـا كان حجمها صغيرة أم كبيرة، فلا يستطيع أن يعمل تخفيفاً عن نفسه لـذلك عليه التفـويض والتسليم للخـالق القـادر علـى دفــع كـل بليــة ومـصيبة، وليس يستطيع غالٍ ناصح أن يدفع عنك مـا أصـابك ولـو بـذل لـك ذهبـاً يوازي جبل ثبير.

---

(١) ثبير: جبل معروف.

وقال أيضاً في الراء المكسورة مع النون:

أكرِم عجوزك إن كانت موحدة | على التحنف أو كانت بزنّارِ
نادت على الدين في الآفاق طائفة | يا قوم من يشتري ديناً بدينارِ
جنَوْا كبائرَ آثامٍ وقدْ زعمُوا | أنّ الصغائر تُجني الخُلدَ في النارِ

ونقف هنا مع المعري لندرس هذه الفكرة التي صورها في مشهد متدافع مضطرب فهو ينادي بإكرام المرأة ويقيدها بالشيخوخة سواء كانت إمراة مسلمة أو نصرانية لأن الزِنار هو شعار الفتاة النصرانية، ولاسيما في عصر المعري، ثم تأمل معي البيت التالي هل فيه من السخرية شيءٌ أم ماذا يقصد المعري من تصويره لطائفة تنادي على الدين من يشتري ذلك الدين بدينار، وهل الدين سلعة حتى يباعً ويشترى، إنما الدين عقيدة سماوية جاءت من فاطر السموات والأرض لسعادة البشرية دنيا وأخرى، ويشير المعري إلى سخرية أخرى في مرثياته فإنه لا يؤمن بما يجنيه البشر من آثامٍ كبيرة أو صغيرة على أن الكبائر تخلد في النار إذا استمر عليها المرء حتى موته، أو أصر على الصغائر إلى أن وافاه الأجل فكتاب الله يستثني اللمَمَ من تلك الفواحش لأن الله غفورٌ رحيم.

وقال أيضاً في الراء المكسورة:

بحكمةِ خالقي طيي ونشري ... وليسَ بمُعجِزِ الخلاّقِ حشري
وقد رفقَ الذي أوْصى أناساً ... بعُشرٍ في الزّكاةِ ونصفِ عشرِ
إذا أشِرَتْ أكفٌّ من رجالٍ ... فما أولى أناملَهُمْ بأشرِ[1]
أحبُّكِ أيها الدنيا كغيرِي ... وأشراني قلاكِ ولستُ أشري[2]
ونهوى العيشَ فيكِ مع الرزايا ... وما طوّلتِ من خمسٍ وعشرِ
وهذا الدّهرُ بشّرَ بالمنايا ... فلِمْ فرحتْ ببشرٍ أمُّ بشرِ
تخوّنَ أربَعي ومضى بخمسي ... وأغلَقَ في حبالِ الشمس عشري[3]
سُطورٌ نحنُ نكتبُها الليالِ ... مَداها كالمُدَى غريَتْ بقَشرِ

ونقف مع المعري في هذا المشهد التصويري الذي أطل المعري من خلاله وجها مؤمناً بحكمة الله وقدرته، وبإيمان المعري بأن الله هو المحيي وهو المميت وهو الباعث، وهو المجزي، في يوم القيامة، ويمضي المعري في مشهده فيتحدث عن الزكاة، وفريضتها في العشر إذا كان الزرع أو النخل يسقى من عيون بدون جهد، ونصف العشر إذا كان الزرع والنخل كالحنطة والزبيب يسقى بجهدٍ، وقد فُصِّلَ ذلك في الكتب الفقهية، فإن كان المعري

(١) أشرت: بطرت. والأشر: النشر بالمنشار.

(٢) أشراني: باعني.

(٣) أربعي: أي طبائعي الأربع. وخمسي: يريد حواسه الخمس.

يشير إلى ذلك فهو على حق، ويستمر المعري في هذا المشهد، فيشير إلـى بطر الإنسان أمـا نفـس المعـري فهـو يـرى نفـسه منـشوراً بالمنـشارِ التـي يستعملها النجار، ولا أعرف كيف هذا الربط ثم يمضي فيصور حـب الـدنيا كما يحبها غيره، إلا أنه قلاها قد شراه، وهو لم يشترِ، ويـصور حـب الـدنيا بمشهده مع ما فيها من البلايا والرزايا؛ وإنَّ الحياة لا تدوم وينغصها المـوت الذي لابد منه، فيختم المعري مشهده بمرئياته في الحياة وما فيها من ألـوانٍ وصور، ولعل هذا التصوير من المعري في صورة دقيقـة يـصور بهـا كيـفَ الأيام تتقضى من عمر الإنـسان فيفقـد حواسـه وينهـدم جـسمه وتـضعف طبيعته كأنَّ أيامه سطورٌ من ليالٍ تمر تنحت في جسمه كمـا تقـشر المـدى القشر.



وقال أيضاً في الراء المكسورة مع الهاء:

قَدِمَ الفتى ومضى بغيرِ تثِيَّةٍ كهِلالِ أوّلِ ليلةٍ من شهرهِ[1]
لقد استراحَ من الحياةِ مُعجّلٌ لوْ عاشَ كابَدَ شدّةً في دهرهِ

ونتحاور هنا مع المعري فنجرد منه شخصاً تحاورياً فنسأله ما وراء هذا الحرف من معنًى عندما وصفتَ قِصَر عمر الفتى الذي شبهته كهلال ليلة واحدة لم يمكث في الحياة أكثر من ليلة من شهر ذلك الفتى الذي انتهى أجله وطوي سجل حياته، وترى في تعجيله مصلحةً له ولو امتد به العمر لكابد من الخطوب وآلام الحياة وغصصها وهذه رؤيةٌ لا نوافقك عليها لأن الموت والحياة هي بيد الله كتاب مؤجل والصالح هو الذي يعرفه خالقه ومدبر هذا الكون ففي كل حركة أو سكنة من الحياة للكون أو للإنسان فيه سرٌّ خفيٌّ ومصلحةٌ قد نجهلُ سرها، فعليك ايها المعري أن تسلم وتعتقد اعتقاداً جازماً أنَّ كل حركةٍ وسكنة مصلحة يجريها الخالق للإنسان والكون.

(١) التثية: اللبث والمكث.

وقال أيضاً في الراء المكسورة مع النون:

غسلَ المليكُ بلادَهُ من أهلِها	بالماءِ إذ جاؤوا بسوءِ شنَارِ
ويقالُ إنّ الله جلّ ثناؤهُ	يوماً يُطهّرُ أرضهُ بالنارِ
كم مسلمٍ عَبَدَ الهوى فوجدته	فيما يحِلُ كعاقِدِ الزنّارِ
كذبوا أن ادّعوا الهدى فجميعُهمُ	يسعون في تيهٍ بغيرِ منارِ
فاهربْ بدينكَ من أولئك إنهم	حرَبوكَ واحتربوا على الدينار[1]

ونقف معك أيها الفيلسوف لنتحاور معك في قطعة أخرى فيها غموضٌ ووضوحٌ ورموزٌ قد لا نستطيع حل الرمز الذي تريده أنت وما هو في فكرك ولكن نتحاور معك ونفسر هذه الرموز بما نتوصل إليه من حل ذلك الرمز، فإن أصبنا فهذا ما نريده وإن أخطأنا فلك أن تجيب بما تريد حيث قلتَ إن المليك غسل بلاده بالماء من أهلها لأنهم جاؤوا بسوء شنار ولا أعلم ماذا تقصد هنا بالغسل لهذه البلاد حيث جاؤوا بالخطايا وهل تقصد بالمليكُ هو الخالق لكل شيء فاطر السموات والأرض إن كان هذا قصدك فهو قادر على كل شيء، وإن كنت تقصد بالمليك هو إحدى الملوك الذي خلقه الله ورزقه المُلك فهو لا يقدر إلا بمشيئة خالقه، فإذا كان هو الله فهو قادرٌ على محو بلاده إذا اقتضت المصلحة في ذلك، وماذا تقصد هل تقصد بالغسل الطوفان، ونمضي معك بالتحاور ونقدم لك

---

(١) حربوك: أخذوا مالك. واحتربوا: تحاربوا.

إستفهاماً تقريرياً أو إنكارياً ماذا تقصد من الله جل جلاله أنـه سـوف يطهـر أرضه بالنار فالله إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون ولا يحتاج لأحدٍ فإنه الغني المطلق، ونحن الفقراء المطلقون، ولا نخالفك قـد يوجـد بعـضاً مـن المسلمين يعبد هواه كما يعبد المال وهو في عبادتـه كلابـس الزنـار يحلُّـه ويدور مع هذه العبادة حسب المصلحة، وقد أشار القرآن إلى ذلـك (ومـن الناس من يعبد الله على حرف) ولا نوافقك على مقولتك العامة التي رميتَ بها جميع المسلمين في ضلالهِم وكذبهم فلو قلت إنَّ قسماً منهم يتحاربون على الدينار ويضيّعون في سبيله إسلامهم لكان ذلك واقعاً.



وقال أيضاً في الراء المكسورة مع النون:

قُومي إلى ربّكِ مُختارةً بغيرِ زُنّارٍ وزنّارِ
شرّفني اللهُ ولا آمُلُ الجنّة بل عتقاً من النّارِ
ما قيمَتي فلسٌ وفي حكمِـ ـهِ أني أودي ألفَ دينارِ

نقف مع المعري ونفتح معه أسلوباً تحاورياً وهذا الأسلوب أفضله في أسلوب النقد والتحليل، وسوف أستمر في هذا الأسلوب التحاوري مع المعري، فأقدم لك أيها المعري تساؤلا ماذا تقصد من هذه القطعة؟ فأجبني عندما قلتَ قومي إلى ربكِ هل تقصد بخطابك هنا المرأة وبالرب هنا الصاحب أو الزوج، وهل تريد أن تقوم بزينتها لتستقبل من تهواه والعيب فيكَ أنك دائماً ترمز لما تغلفه في فكركَ ولم توضح الفكرة ثم لا تستمر في تجسدها وإطالة معناها بل تقتضبها اقتضاباً لتذهب إلى معنًى ثانٍ وتقول إن الله شرفكَ وهذه حقيقة لا مراء فيها فإن الله شرف بني الإنسان وكرمه على جميع المخلوقات كما أشار القرآن المجيد، وماذا تقصد بعدم أملك في الجنة وتأمل التفضل من الله بعتقك من النار إن كان القصد منه أنّ العبد لا يأتي بعمل يستحق عليه الجنة للنعم التي أسبغها الله عليه ولا يستطيع أن يؤدي لخالقه الشكر إنما يمن عليه فيعتقه من النار إذا كان هذا التفسير هو الذي يشير إليه حرفك فهذه حقيقة كل من يؤمن بالله ورسوله نوافق عليها، ولعل الفكرة التي أشرنا لها يفسرها البيت الثالث حيث إن المعري يقيّم نفسه بفلس واحد، وعندما يُقتلُ خطأً فديته ألف دينار، فهذا التفسير يؤيد تفسيرنا إلى ما فسرناه.

وقال أيضاً في الراء المكسورة مع الهاء:

تعُـود إلى الأرضِ أجـسادُنا ونلحـقُ بالعُنـصُر الطـاهرِ
ويقـضي بنـا فرْضـهُ ناسـكٌ يُمِـرُّ اليـدينِ علـى الظّـاهرِ

نقف معك أيها المعري لنتحاور معك فنقول لـك مـاذا تقـصد هـل تقصد إعادة الأجسام إلى الأرض بالموت والإقبـار فـإن المـوت حـق وإن الحق حق وإن الساعة حق وماذا تقصد بإلحاق العنصر الطـاهر هـل تقـصد الأرواح أم الأجساد حينما تدفن بـالتراب الفكـرة غامـضة والمعـري دائمـاً يغلف أفكاره في ألغاز، وأما بيتك الثاني فهو لغزٌ في لغز لأنـك لـم توضـح قصدك بقضاء الناسك الفرض هل هي الصلاة على الميت أو مـاذا وبـإمرار يده على الظاهر هل هو الحانوت هل هو الكفن الله يعلم ماذا تقصد ونتـرك هذا اللغز لمن يشاء أن يفسر أو يأوّل.

وقال رحمه الله في الراء الساكنة مع القاف والبسيط الأول:

لـئن سقـتْكَ الليـالي مـرّةً ضَـرَبا فكم سقَتْكَ على مرِّ الزمان مقرْ[1]
إنّ المـشَقّر لـم تُخلِـد ممالكـه شقرٌ تقادُ ولا مسحوبةٌ كشقرْ[2]
وإنمـا هــذه الـدنيا لنـا تلـفٌ إذا الـفقير تـصدّى لليـسارِ فقـرْ
فـأذْرِ دمعـك إن جهالـها ابتـسموا مـن جهلـهم وإذا خـفّ الأنـام فقـرْ
واهربْ من الناس مافي قربهم شرف إنّ الـفنيق إذا دانـى الأنـيس عقـرْ
والصقر يلبس إن طال المدى هرما حـتى إذا مـرّ بـين الهاتفـات تقـرْ
لو عاشتِ الشمس فينا أُلبست ظلما أو حـاول البـدر منـا حاجـةً لحقـرْ
ولـدْت يـا أمّ طـفلاً شـبَّ في عنـتٍ فليتَ كشحكِ عن ذاك الجنين بُقرْ
لتَستريحا فـكم عـانى أذى قَـرَسٍ عند الشتاء ولاقى وغرةً فصُقرْ[3]
فـلا تُـقرّ بمـجدٍ لامـرىءٍ أبـدا إن كنـتَ ربّ النيـرات تُقـرْ

أيها الشاعر الفيلسوف نتحاور معك فنسألُكَ لماذا كنتَ في هذه القطعة برِماً من الحياة ومتحاملاً على البشرية؟

---

(١) الضرب: العسل الأبيض. والمقر: الصبر.

(٢) المشقر: قصر بالبحرين بناه معاوية بن الحارث بن معاوية الكندي الملك فسمي به. والشقر: شقائق النعمان.

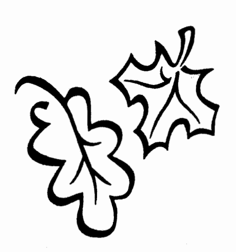
(٣) القرس: البرد. والوغرة: لها حرة. وصقر: أصابه صقر الشمس أي شدة حرها.

هل لأنك عشتَ في محبسين وفي عزلة صامتة؟.

لا أحبُ أن أتحاور معك، وأدخل معك في تفاصيلِ طالما كررتها في صورِ من شعركَ.

فأكتفي بهذه الإشارة التي هي كإماءة الشاطئ...

وأعتذرُ لك وللقرّاء.



وقال أيضاً في الراء الساكنة مع الشين:

إدفع الشرّ إذا جاء بشر | وتواضع إنما أنتَ بشَرْ
يا غُراباً هَمُّهُ في غارةٍ | يتمنى أقطاً فوقَ مشرْ (1)
نحنُ في ليل علينا دامس | كيف للمُدلج بالصبُح جشرْ
هذه الأجسامُ ترْبٌ هامدٌ | فمنَ الجهل افتخار وأشرْ
جَسدٌ من أربّع تلحظُها | سبعةٌ راتبةٌ في اثني عشرْ
وعجيبٌج فرَحُ النفسِ إذا | شاعَ في الأرضِ ثناها وانتشرْ
شَجرٌ أفضلهُ مُثمرهُ | ومن الناس نخيلٌ وعشرْ
مُستشارٌ خائنٌ في نُصحهِ | وأمينٌ ناصحٌ لم يُستَشرْ
ومتى شاءَ الذي صوّرنا | أشعرَ الميْتَ نُشوراً فنَشرْ
فافعل الخيرَ وامّل غِبّهُ | فهو الذُّخر إذا اللّهُ حشرْ

وقفةً معنا أيها الفيلسوف لنتحاور فنوجه لك استفهاماً تقريرياً في فلسفتك التي تريد فيها أن تكيل الشر بشر ولماذا لا أدفع الشر بالتجاوز والإحسان عن من أساء إليّ والعجز يناقض الصدر لأنك طلبت التواضع أي خفض الجناح لأنه بشر فهذا يناقض العجز فإن كانت الدعوة إنسانية وخلُقية، وتمضي في فلسفتك فتمثل الإنسان بغراب ليس في الحياة من

---

(1) الأقط: شيء يتخذ من لبن المخيض. المشر: الموضوع الذي ينشر فيه الأقط.

غاية إلا اهتمامه بالغَارَات ووضع ما يمخضه اللبن على ما ينشر عليه ويعيش في ليلٍ دامسٍ فلا يؤمل في أفقه صبحاً يبسم له من كوى الحياة، وما دام البشر سيؤول إلى جسد هامد فلماذا يتكبر ويفخر فهو يعرف مصيره وتمضي في فلسفتك وتَصور جَسد الإنسان والعناصر التي كُوِنَ منها جسد هذا الإنسان وما تغمره من فرحةٍ تشيعُ السرور في نفسه وتقسِّم الإنسان كشجرٍ بعضه مثمر وبعضه غير مثمر، فإن كان هذا التقسيم حسب ما نصل له من تفسير هو الإنسان الذي يعطي في الحياة وينفع أخاهِ عكس الذي يبخل ويضر أخاه فهذا تقسيمٌ رائعٌ وتختم فلسفتك بصدق وتوحيد حيث إنه لا ينفع الإنسان يوم يموت غير عمله الخيّر وإنَّ الله الذي خلقه قادر على نشره متى أراد نشره، وهذه حقيقة صادقة لا مراء فيها.

وقال أيضاً في الراء الساكنة مع الطاء:

رُحتُ في الناسِ كربعٍ دارسٍ ... أخذتْ منهُ رياحٌ ومطَرْ
خبأ الدّجنُ لأرضٍ جَوْدَهُ ... وطوى أرضي بخيلاً ما قطرْ[1]
مُستطارٌ أنا من خوفِ الرّدى ... كلّ شيءٍ في كتابٍ مُستطرْ
غفَرَ اللهُ لعبدٍ غافلٍ ... هوَ في أعظمِ جهل وخطَرْ
تَركَ الآجلَ لمْ يَحْفَلْ بهِ ... ومنَ العاجلِ لم يقضِ الوطَرْ
حكم الرُّبُ لبَذْرٍ فاستوى ... وهِلالٍ مُستجدٍ فانأطرْ
تُظهرُ الدينَ وتخفي غيرهُ ... إنما شأنكَ مكرٌ وبطرْ

لحظات أيها الفيلسوف لنتحاور معك ونطرح لك استفهاما ونوجه لك أسئلةً فهل تقصد إنّ عزلتك وانقطاعك عن الناس مثلتكَ كأطلال دارسة وأضاعت معالمها الأمطار والرياح وهذا لا ينطبق عليك إنما أنتَ قمةٌ من قمم اللغة العربية واستمرَيتَ ومضيت في تصويرك إنّ السحاب يهطل بسخاءِ على غير أرضك، وأرضك مجدبة، وهذا لزهدك وعدم بيع ضميرك للأمراء فلم تمدح حتى يصب في لُهاتكَ أما استطارتك وخوفك من الموت نرجو أنّ هذه الظاهرة النفسية تقلع بك عن هذه الوساوس السوداء والأفكار المظلمة حيث كل شيءٍ مسجل في كتاب مستطر يقرأه

---

(١) الدجن: ظلال السحاب. والجود: المطر.

العبد يوم القيامة، وتستمر في تصويرك فتدعو للعبد الغافل بالمغفرة من الله، ولو كان في أعظم جهلٍ وخطر فإنّ الله هو الغفار إلى المذنبين من عبيده لا غيره، وتضرب مثلاً لانقضاء هذه الدنيا للذين لم يطيعوا الله وعصوه فهم لم يقضوا وطرهم من الحاضر، ولم يستعدوا إلى الأخرى وهذه موعظةٌ نأمل أنها مرت على قلبك فأيقظته، وتمضي فتصور رموزاً مغلفة في ليلٍ مبطنٍ بالسحاب ولا أريد أن أعلق أو أفسر البيتين الأخيرين لأني لا أريد تفسير معنًى قد أظلمك فيه وأنت رهن التاريخ فأتركهما للقارئ.



وقال أيضاً في الراء الساكنة مع الميم:

أمرَ الخالقُ فاقبلْ ما أمرْ | واشكر اللهَ إن العذبُ أمَرْ
أضمِر الخيفةَ واضمُر قلّما | أحرزَ الطِرفُ المدى حتى ضمرْ
أيها المُلحدُ لا تغصِ النُهى | فلقد صحّ قياسٌ واستمَرْ
إن تعُد في الجسمِ يوماً روحه | فهو كالربعِ خلا ثم عمَرْ
وهي الدُنيا أذاها أبداً | زُمرٌ واردة أثرَ زُمرْ
يا أبا السبطين لا تحفِلْ بها | أعتيقٌ سادَ فيها أم عمُرْ[1]
عجَباً للدّهر صبح ودُجى | ونجوم وهلالٌ وقمَرْ
وغصونٌ أثمرَتْ نائيةً | ودَوَانٍ ليسَ فيهنّ ثمرْ
وغَويٌّ كرَّ في حيرَتهِ | بعدما حَجّ لنُسكٍ واعتمَرْ
عامَ في الغمرِ زماناً فنجا | وانثنى الآنَ غريقاً في الغمرْ[2]
زُحليٌّ واجمٌ يصحبُهُ | زُهريٌّ الطبع غنيٌّ وزمَرْ[3]
وهُمومٌ ألِفتْ مقمورَها | وسرورٌ آبهُ حينَ قمرْ

---

(١) السبطين: الحسن والحسين. والعتيق: هو أبو بكر الصديق سمي بذلك لجماله.

(٢) الغمر بالفتح: الماء الكثير. وبالضم: القدح الصغير.

(٣) زحلي: منسوب إلى زُحل. والزهري: منسوب إلى الزهرة.

تلـــكَ أنـــباءٌ أرَتنـــا عِـــبَراً　　مُعــجباتٍ كــأحاديثْ الــسّمرْ

فـــي حيـــاةٍ كـــخيالٍ طـــارقٍ　　شَغَــلَ الــفكرَ وخــلاّك ومَــرْ

وقفةً أيها الشاعر الفيلسوف، فقد أطللت علينا من هذه الحروف بوجهٍ متلون الوجوه في أفكارٍ لعلها تخالف بعضها بعض وترمز إلى رموزٍ بعيدة التأويل غامضة التفسير فأنا في تحاوري معك لا أريد أن أفسر هذه القطعة بتفاسيرٍ قد لا تقتضيها أو لعلك تتهمني بالحيف والظلم لك أو بأني لا أحملك إلاّ على ليلٍ مبطن بالضباب لا قمر فيه ولا نجوم، فاترك شرحها وتفسير ما تضمنته من معانٍ وصورٍ للقارئ العزيز.

□ □ □

وقال أيضاً في الراء الساكنة مع السين:

تحفظ بدِينك يا ناسكاً ... يرى أنه رابحٌ ما خسِرْ
فلستَ كغيرك أطلقْتَ في ... حياتك بل أنت عانٍ أسِرْ
وللسبكِ ردٌ كسيرُ الزُّجاج ... ولا يُسبكُ الدُّرُّ إنْ ينكسرْ
ورزقُكَ يأتي بلا ريبةٍ ... فسرْ في بلادك أو لا تسرْ
ولا تيأسنَّ من المُلْكِ أنْ ... يَعُودَ إذا جيشُ قومٍ كُسِرْ
فقد يرجعُ القمرُ المستنيرُ ... مُقتبلاً بعد أن يستسرْ(١)
هو الدّهر يفني ونفسي على ... وناها وكونُ مُنَاها عسِرْ
وكم فيكَ يا بحرُ من لؤلؤٍ ... ولكنَّ لُجكَ لا ينحسرْ
فأكرِهْ على الخيرِ مجبولةً ... على غيره في عِلانٍ وَسِرْ
فلم يُجعلِ التبرُ حَلْيَ الفتاةِ ... حتى أُهينَ وحتى كُسِرْ

ونقف معك أيها الفيلسوف في هذه القطعة لنسألك ماذا أردْتَ من هذه الحروف والمعاني، وخطابكَ الموجه إلى الناسك المتدين وإنه رابح لم يخسر هل هذه نكتة تريد بها السخرية أم قصدكَ تمسكه بالدين فيه خسران! ماذا تقصد؟ وهذا تعبير مغلف فيه عدة رموز، وماذا تريد بتمييز الناسك عن غيره وانه يلاقي في حياته تعباً ما يلاقيه غيره، وقد فاتتك اللذة

---

(١) يستسر القمر: آخر ليلة من الشهر، وربما استسر ليلتين بحسب المنازل.

والنشوة التي يتمتع بها الناسك المؤمن عندما يؤدي العبادات ويناجي خالقه ولاسيما في هدأة الليل، وماذا تريد من تساؤلك إلى الناسك أو للإنسان أنه ليس طليق وإنما هو أسير وإنَّ الزجاج إذا يكسر لا يعاد سبكه وهذه إشارة إلى جحود بعث الله لعبيده يوم القيامة وإنَّ البعث والساعة حق آتية لا ريب فيها، وقد ناقضت نفسك بنفسك حيث قررتَ أن الرزق آت سواء إن تحرك الإنسان أم سكن وهذا هو من فعل الله لا من فعل المخلوقً على أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالسعي في طلب الرزق وهو الرازق وهل أنت أيها الشاعر الفيلسوف تشجع الناس على الكسل واليأس، حتى لو كان ملكاً هزم إذا صبر سوف يسترد ملكه، وهذا من الأمل المخضوضر الذي يزرع الحياة وروداً وأزهار، ولكنه لا يستطيع ملك أن يسترجع ملكه إلا بالسعي ومشيئة الله، وضربت مثلاً لليأس أن القمر يعود بعد سراره، وإنّ الشخص ليصارع الزمن والبلايا، وهو باقٍ على مناه يسعى برغم ما يلاقيه في الحصول على مطالبه في بلوغ حاجاته، وتمضي في ضربك الأمثال لتعمير هذه الحياة، والسعي بجدٍّ ونشاط، فإنَّ البحر في أعماقه اللؤلؤ، ولكنّ موجه لا ينحسر، ولولا يغطس الغطاس في أعماقه لما وجد اللؤلؤ، وتواصل أيها الفيلسوف في هذا الحرف إرشاداتك ونصيحتك، فإن النفس في رؤياك مكروهةٌ ومجبولة على الخير والشر وهذه الرؤية نخالفك فيها ولا نصادقك عليها فإن النفس خلقت من الخير وترك لها خالقها الحرية ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، اما رؤياك في الذهب إذا لم يهن أو يكسر لا يكون حلياً في صدر الفتاة أو معصمها، وهذه القطعة من أقوالك التي صورت فيها أفكارك وآرائك المتضاربة المتناقضة.

وقال أيضا في الزاي المضمومة مع الجيم:

لـحاكِ الله يـا دُنـيا خلـوبا | فـأنتِ الغادةُ البكرُ العجوزُ
وجدناكِ الطريقَ إلى المنايا | وقد طالَ المدى فمتى نجُوزُ
سـئمنا مـن أذاكِ فنجّزينـا | فـإن مـرءَةَ الوعـد النُّجـوزُ

وقفةً أيها الشاعر الفيلسوف لنتحاور حول ما صورته في حروفك الفنية التي تصور الحياة أنها دنيا في أجلى مظاهرها وتصل إلى أسرار خفاياها فهي كالفتاة الخلوب وهي تضم صفات البكر والعجوز فتضم الضدين المتناقضين وهي الطريق إلى الموت لأن الموت تجلبه الحياة ولو لم نحيا لما جاءنا الموت وتتمنى فيها أن تجوز هذا الطريق وإنك سئمت من عناء هذه الحياة ولا خلاص من معاناتها إلا بانتهاء حياة كل شخص ولكن نتمنى أن نجوز هذا الطريق على طريق مستقيم فيه الرضا للإله وطاعته وطاعة رسوله حتى نتخلص من هموم هذه الحياة إلى حياةٍ فضلى وجوارٍ كريمٍ يفيض علينا بفيضه رحماته.

وقال ايضا في الزاي المضمومة مع الجيم وواو الردف:

أجـاز الـشافعيّ فعـالَ شـيءٍ — وقـال أبـو حنيفـةَ لا يجـوزُ
فـضلّ الـشيبُ والـشُّبانُ منّـا — ومـا اهتـدت الفتـاةُ ولا العجـوزُ
لـقد نـزلَ الفقيـه بـدار قـومٍ — فـكان لأمـرهِ فـيهم نجـوزُ[1]
ولم آمَـنْ علـى الفقهـاءِ حبـساً — إذا مـا قيـل للأمـناءِ جـوزُوا

ونقف معك أيها الشاعر الفيلسوف في قطعة من تصويرك وتعبيرك حيث في هذه القطعة كنتَ تتطاول في فلسفتك على فقيهين هما الإمامين أبا حنيفة والشافعي فصورتَ خلافهما في كتاب الفقه نقص فيهما، وما أدري لماذا كان رأيك عن النقد والخلاف في المسائل الفقهيه دليلٌ على اتساع العلم وحرية الفكر لا دليلٌ على النقص والشقاق، ومضيتَ في قطعتك حتى أنك قلتَ إن الفتاة والعجوز ما اهتديتا وتسرَّع الفقهاء في أحكامهم وهذه القطعة تخالف القطعة الماضية، وبينهما بونٌ شاسع، وهذه رؤيانا إنك تعيش في جو من الشك يكاد ضبابه أن يخنقك.

---

(١) نجوز: من نجز الحاجة بالتشديد تعجل في قضائها.

وقال أيضاً في الزاي المكسورة مع الجيم:

عـلَّ زمـانـاً يُـديلُ آخِـرُهُ   فقد يكونُ الرشادُ في العِجَزِ[1]
إلى الأنين استراحَ خِدْنُ ضَنَى   كما استعانَ السُّفاةُ بالرَّجزِ
والدِّينُ نُصحُ الجيُوبِ مقترناً   مدى الليالي بعفّةِ الحُجُزِ
يا صاحِ إني لزائفٌ عملي   فحقٌّ أني وجدتُ لم أجُزِ

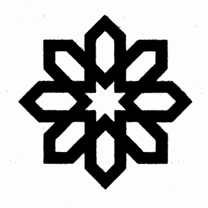
ونتحاور معك حواراً فكرياً فنقول ماذا تقصد من هذه القطعة التي سنقرؤها عليك، وهي علَّ زماناً ! فماذ تقصد من هذا الزمان الذي تترجى فيه أن يكون آخره الرشاد أتقصد به حسب ما شرح الشارح بأن العجز هو آخر ولد الرجل قد يكون الرشاد لأول الأبناء أو في أوسطهم أو في كلهم ولكنني لا أستطيع أن أفسر هذه الفلسفة وتمضي في فكرتك لأن الأنين قد يخفف من الويلات فيستريح من مكروبه أخو الضنا كما يستريح الشاعر الذي يكتب الرجز عندما يصور آلامه في رجزه وجعلت الأنين هو جو يبث منه الهمَّ كما يبث الشاعر معاناته في شعره.

وماذا تقصد أيها الفيلسوف بأن الدين هو نصح الجيوب ومقروناً بعفة الحُجُزِ لعلك تفسر لنا هذا المعنى الذي يُأوّل على عدة معاني ومحاور، وماذا تقصد بأن عملك هو من الزيف بمكان، وتقسم بالحق أنك لم تتجاوز هذه المرحلة إذا كنت تقصد أفكارك التي تصورها في الشعر

---

(١) العجز: آخر ولد الرجل.

الذي كنت فيه متذبذباً بين هنا وهناك وعلى الهاوية وغير الهاوية فهذا شعرٌ زائف فإن كنت تقصد شعرك الذي جلوتَ فيه الحقيقة ووحَّدتَ فيه الخالق فهذا طريق لاحب، ونرجع إلى مقولتنا أنـتَ شـاكٌّ تتـصارع فيـك الأفكـار المضطربة والمتناقضة.



وقال أيضاً في السين المضمومة مع اللام وياء الردف والبسيط الثاني:

إن كان إبليس ذا جندٍ يصول بهم   فالنفسُ أكبر مَن يدعوه إبليسُ

لا شبَّ ربُّك نيرانَ الشبابِ لهم   إلى المدَامةِ تهجيرٌ وتغليسُ[1]

والدهر في الحجر تُرجى منه عارفة   أنيٌّ وقد بان اعسار وتفليسُ

وموَّه الناسُ حتى ظنّ جاهلهُم   أنّ النُّبوّةَ تمويه وتدليس

جاءت من الفلكِ العُلوي حادثة   فيها استوى جُبناء القوم والليس[2]

لوهب هجاد قوم في الثرى دُفنوا   لضاقت المدن والبيدُ الأماليسُ[3]

متى أفارقُ دنيايَ التي غدرتْ   ويدرِك اسميَ في الأسماء تطليسُ[4]

ونقف مع المعري وقفةً تحاورية أيها الفيلسوف لقد كنتَ في هذه الحروف التصويرية قد تغلغلتَ إلى أسرار البشر وصورتَ أن النفس خطرها أكبر من الشيطان الأكبر والنفس هي الأمارة بالسوء إلا من رحم ربي ثم تمضي في تصويرك إلى الشباب الثائر الملتهب الذي يعتنق المدام كما يعتنق الفتاة الحسناء فهو يلتهم الخمر في الهاجرة وفي آخر الليل وعبرتَ عن نيران الشباب وهو الوهج الملتهب الذي يثور كما يثور البركان ولكنَّ

---

(١) التهجير: السعي في الهاجرة. والتغليس: السعي في آخر الليل.

(٢) الليس: الشجاع.

(٣) الأماليس: البيد التي لا نبت فيها.

(٤) تطليس: محو.

هذه الظاهرة ليست من الخالق إنما هي من النفس التي صورتها أخطر من إبليس وتمضي في قطعتك التعبيرية فتصور الدهر وما يكتنفه من بلايا وما يضلل به الجاهلون من الملحدين حتى يتصور لهم أن النبوة لم تكن من السماء وإنها لم تأتِ من الخالق وهذا خلاف الحق، والواقع إنما جاءت من عند الله لهداية النَاس ورحمةً للخلق، ولعلي أختلف معك في هذه النقطة فأعلق مهما لبس على الجاهل من المضللين فإنه لا يصل إلى ما رأيته أيها الفيلسوف إلا عناداً ومكابرة فالرسالة تأتي تتحدى البشر بالمعجزات الخارقة التي لا يستطيع أحدٌ أن يأتي مثلها لأنها فيض ولطف من الخالق وهنا أيها الفيلسوف أحب أن أقدم لك سؤال استفهامي ماذا تقصد من الحوادث التي جاءت من الفلك العلوي التي تساوى فيها ذو الرأي الشجاع والجبان وتصور لو بعث الموتى لضاقت بهم المدن والصحراء، فإنهم سوف يبعثون يوم الحساب ولا تضيق بهم الأرض التي سوف يبعثون عليها لأن الخالق هو الذي خلقهم وأماتهم سوف يبعثهم وهذه حقيقة لا بد من أن نراها وستراها أيها الفيلسوف أعاننا الله على ذلك اليوم وأمّننا يوم الفزع الأكبر، وتتمنى أيها الفيلسوف أنك تغادر هذه الدنيا الغادرة ويدرج إسمك في قائمة المحو بحيث لا تُعرف، ولكنك أصبحت تشارك الأحياء حياتهم وتعيش معهم وهذه من نعم الله على عبيده ليراهم هل يشكرونه قبل الموت ويطيعونه أم يكفرون بنعمه ومن يكفر فإن الله غنيٌ حميد.

وقال في السين المضمومة مع الخاء وواو الردف:

الظلمُ في الطبع فالجاراتُ مرهقة والعرفُ يسترُ والميزان مبخوسُ[1]
والطِّرف يُضرب والأنعام مأكلةٌ والعِيرُ حاملُ ثقلٍ وهو منخوسُ

ونعود فنقف وقفةً معك أيها الشاعر الكبير لندخل في قلبك فنقرأ هذه الحروف التصويرية فإن هذه القطعة تصور أصالة الظلم في أعماق الإنسان لولا تهذيب النفس بالدين وبالعقل الذي يزن القبيح والحسن تفضلا من خالقه لأَكَلَ الإنسان أخيه الإنسان حياً فهو يحاول ظلم أخيه بألوانٍ شتى من الطرق، ويبخسه في الميزان ويظلمه في أي شيء يقدر عليه، وقد يعف الوحش عن أكل أخيه ولا يعف الإنسان عن ظلم أخيه، أما البيت الثاني فيراه المعري دليلا على ظلم الإنسان حيث الأنعام تذبح وتأكل والخيل تركب وتضرب والبعير يستعمل كسفنٍ للصحراء وهو يُنخس فهذه يراها المعري من ظلم البشر للحيوان، وهذا المفهوم لا نوافقه عليه حيث إن الجواد والأنعام والبعير خلقت زينةً للبشر، ومن أجل أن يتمتع بها هذا الإنسان بل الكون بجماله خلق للإنسان، وهذه من أكبر النعم التي تفضل بها خالقنا علينا، فكيف تكون من ظلم الإنسان، فنوجه لك أيها الفيلسوف لَماذا ركبت على الطِّرف أي الخيل واستعملت النوق في الصحراء في رحلتك إلى دار السلام، فإذاً أنت ظالمٌ لهذه الحيوانات .

---

(١) المبخوس: المنقوص.

وقال أيضاً في السين المضمومة مع الحاء وواو الردف:

أوحى المليكُ إلى من في بسيطته من البريّة جوسوا الأرض أو حوسوا[1]

فأنتمُ قومُ سوءٍ لا صلاحَ لكم مسعودكم عند أهل الأرض منحوسُ

وهنا نعود فنتساءل من المعري ماذا يقصد بهذين البيتين حيث صور في مفهومهما معنًى غامضاً يفسر على عدة صور وألوانٍ وأنا لا أريد أن أفسرهما بحس ما أراهم لعلي لم أصل إلى حس الشاعرِ الذي أراده في هذه الحروف، فأتركهما للقرّاء.

* * *

(١) الجوس: التطواف وطلب الشيء.

وقال في السين المفتوحة مع الباء والبسيط الأول:

يا روحُ كم تحملين الجسم لاهية أبليته فاطرحيه طالما لُبسا

إن كنتِ آثرتِ سكناه فمخطئة فيما فعلتِ وكم من ضاحك عبسا

أولا فجبرٌ وإن أشوى فجاهلة كالماء لم يدرِ ما لقاهُ إذ حُبسا

لو لم تحليه لم يهتج لمعصيةٍ وكان كالتربِ ما أخنى ولا نبسا

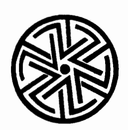
تركتِ مصباحَ عقلٍ ما اهتديت به واللهُ أعطاكِ من نور الحجى قبسا

فنعود معك أيها الشاعر الفيلسوف لنتحدث معك حديث الروح للروح فنقف معك في هذه القطعة التي صورت فيها اسراراً دقيقة مخاطباً فيها الروح، وكيف كانت تحمل الجسد وهي لاهية، وقد يرى المفكر لأول وهلة في هذا التعبير الفلسفي الذي وصفتَ فيها بحمل الروح للجسد، وكان بعض الفلاسفة يرون أن الجسد هو الذي يحمل الروح كما أشار إلى ذلك شاعر الإنسانية المتنبي في قصيدته النونية التي مطلعها:

بِمَ التَّعَلُّلُ لا أهلٌ ولا وَطَنُ ولا نَديمٌ ولا كَأْسٌ ولا سَكَنُ

وتصويرك في هذا الحرف للروح في حملها للجسد إنها فكرة رائعة ولولا الأرواح لما تحرك الجسد ولما أذنب أو أثم أو عمل خيراً فكأنها هي التي تحمله لا الجسد حاملها، وقد ابلته وهي في لهوها، فتخاطبها أن تطرحه من كثرة ما لبسته، وهذا ليس لها فيه اختيار ولا يدان إنما الآجال هي بيد من خلقها وخلق الجسد معها، وتعقب بخطابك للروح إنها مخطئة

في حمله وكم من ضاحك انعكس ضحكه عبوس عليه ونعقب على بيتك كما عقبنا به سابقاً أن ليسٍ لديه يدان والأمر لمن بيده الأمر، ولعلنا أشرنا لهذه المضامين التي أرادها شاعرنا الفيلسوف من حبس الروح في الجسم أو للجسم كما يحبس الماء ولو لم يحبس الماء لجرى في القنوات وقد علقنا آنفاً ما هي الحقيقة، وهذه الصورة تتكرر في هذه القطعة، وما صورناه من هذا الحرف الموجز إلا أننا نحب أن نعلق على آخر بيت فكان هو مصباح هذه القطعة، حيث يصور إهمال النفس عن مصباح العقلٍ الذي أناره خالقه فلو أنّ النفس اقتبست من مصباح هذا العقل لما تاهت في ظلام دامسٍ لا أول له ولا آخر.



وقال أيضاً في السين المفتوحة مع الميم وواو الردف:

الحمد لله قد أصبحتُ في لججٍ مُكابداً من هموم الدهر قاموسا[١]
قالت معاشرُ لم يبعث إلهكُمُ إلى البريّةِ عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا للقومِ مأكلةً وصيرُوا لجميعِ الناس ناموسا
ولو قدرتُ لعاقبتُ الذين طغوا حتى يعودَ حليفُ الغيِّ مرموسا[٢]

ونعيد الكرة مع الشاعر الفيلسوف ليحدثنا في قطعة تعبيرية أبحر فيها فضاع في لججها الكبير بزورقه الصغير، فيتحدث عن حمد الله وشكره حيث إنه لاقى مصائباً في لجج البحر، ولكنه يخرج من هذه اللجة ليقول على لسان غيره إن أناساً يدّعون أن الله لم يبعث النبي موسى ولا النبي عيسى عليهما السلام وعلى نبينا محمد ﷺ أفضل الصلاة وأزكى السلام، ولعل في البيت الثالث مقولة ساخر على لسان من اختارهم المعري لهذه المقولة فلما أنكروا البعث سخروا فجعلوها كأكلة آكلٍ، وخلقوا ناموساً لا من عند الأنبياء ولا هو من عند الله وهذا من الشك الذي أطيافه وأشباحه تنام في قلب المعري، والحقيقة أن بعث الأنبياء تفضل ورحمة من الله ونعمة كبرى على هذه البشرية، ثم يعود إلى صورة اليقين فيتمنى أن تكون لديه القدرة ليعاقب الطغاة حتى يخبرهم، فهو بين الشك واليقين غير أن الشك يطغى على عقله فينسيه اليقين.

---

(١) القاموس: وسط البحر.

(٢) المرموس: المقبور.

وقال أيضاً في السين المفتوحة مع الدال:

القُدس لم يُفرَض عليك مزارهُ فاسجُد لربك في الحياة مقدّسا[1]
أصبحتُ في يومي أسائل عن غدي متخيّراً عن حاله متندّسا[2]
أمّا اليقينُ فلا يقينَ وإنما أقصى اجتهادي أن أظنّ وأحدِسا
لا ترهبَنّ منَ الظباءِ كوادِسا ولو انتشقن مع الصباح الكُندسا[3]
وإذا النهارُ خشيتَ منه غوائلاً فعليكَ من ليل يُغنيكَ حندسا
فالجنح أخضرُ كالسدوس تخاله من حبّةٍ خضراء غشّيَ سندُسا

نقف معك أيها الشاعر الفيلسوف في هذه القطعة التعبيرية التي كتبتَ فيها ما يدور في عقلك من شكوك، وأثبت على صعيدها شكوكك التي تزداد عندك كما يزداد الليل ظلاماً فهذه القطعة هي شاهدٌ لرؤيتنا حول مصداقية أفكارك المتناقضة، وما تركته من صور شكية في لزوم ما لا يلزم الديوان الشعري الحافل بهذه الصور الشكية والمتناقضة مع واقع الحقيقة التي لا مفر عنها فهذه الشكوك الضبابية التي تغيم في آفاق نفس المعري وأحياناً تبخرها شمس الحقيقة فتنقشع فيطلع علينا بحرفٍ فيه من الهداية ثم يعود إلى ما يضببه ذلك الشك المظلم.

---

(١) القدس، والقدوس: الطهر، والقدس هنا البلد المبارك.

(٢) المتندس الذي يستعلم الأخبار.

(٣) الكوادس: من الظباء العطاش والعرب تطير منهم. والكندس: نوع من العطوس.

وقال أيضاً في السين المكسورة مع الميم:

خَصاؤُكَ خيرٌ من زواجك حرّةً | فكيفَ إذا أصبحتَ زوجاً لمومسِ
وإنّ كتاب المهرِ فيما التمستهُ | نظير كتابِ الشاعر المتلمّس[1]
فلا تُشهدَن فيه الشهودَ وألقه | إليهم وعُد كالعائر المتشمس[2]
ولبسك ثوب السقم أحسن منظراً | وأبهج من ثوب الغوي المنمّس[3]
وإنّكَ إن تستعمل العقلَ لا يزل | مبيتُكَ في ليلٍ بعقلك مشمس

ونقف معك أيها الشاعر الفيلسوف وقفةً في نظرتك التي تنظر بها بمنظار أسود للمرأة التي هي نصف الرجل والرئة التي يتنفس منها المجتمع حيث إنك حظرت على نفسك الاتصال أو الزواج من حواء فأخذت تصور هذه الفكرة السوداء في بعض حروفك الشعرية، ومنها هذه القطعة فرؤيتك فيها أن خصاء الرجل خير له من أن يتزوج بحرة مصونة فكيف به لو تزوج من مومسٍ أي غير عفيفة، وما هذه الرؤية وهل يقف زواج بين اثنتين أما بالحرة أو المومس إنها لفكرة خاطئة والزواج هو السكن وبه تعمر الأرض وتكثر البشرية على كوكب الأرض وهذه عقدةٌ نفسية تعلقت بالمعري وقد شرحنا أسرارها وعللنا ظواهرها أما بواطنه فلا يعرفها إلا الله فكان هذا

(١) المتلمس: هو جرير بن عبد العزى من بني ضبيعة وهو خال طرفة بن العبد وكتابه هو الكتاب الذي أعطاه إياه ملك الحيرة عمرو بن هند يأمر فيه بقتله.

(٢) العائر: الأعور.

(٣) المنمس: المحتال.

التعليل في أول هذا الكتاب، وضربتَ مثلاً لكتاب الصداق بكتاب ملك الحيرة الذي أعطاه لجرير بن عبد العزى المعروف بالمتلمس فيه حتفه وموته، وكتاب الصداق فيه حتف الزوج وموته، وهذا من الكلام الذي لا يلامس الواقع وشتَّان بين الكتابين ولعله ضربٌ من الخبال، فتحظر الشهود على كتاب عقد الزواج وتأمر بإلقائه في سلة المهملات، ولو لبست ثياب السقم لكان خيراً لك من الزواج، ثم يضيف المعري لو عشتَ في ليلٍ دامس ولكن عقلك كان منيراً يضيء كالشمس لحالفت السعادة وليس الزواج بعقبةٍ للرجل المتزوج بحيث يحظر عليه الفكرة المنيرة والعقل المشمس.

❊ ❊ ❊

وقال أيضاً في السين المكسورة مع النون:

تصدّق على الطيرِ الغوادي بشربة من الماء وأعددها أحق من الأنس
فما جنسها جانٍ عليكَ أذيّةً بحال إذا ما خفتَ من ذلك الجنس
لقد فرّعتنا قدرةٌ أزليّةٌ فعشنا وعدنا راجعين إلى القنس[1]
تذكرُنا الأيامُ أمراً فننطوي عليه زماناً ثم لا بد أن نُنسي
فلا تتعرّض في طريقك ناظراً نساء النصارى غاديات إلى الكنس

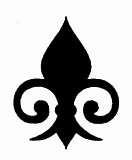
ونعود معك أيها الشاعر الفيلسوف في قصيدة تعبيرية تصور فيها ما مر في أفق نفسك من أفكارٍ ترسمها في هذا الحرف فصورتَ فيها رأيك أنك تفضل الصدقات على الطيور من الإنسان لأن الطيور لا تؤذي بعضها بعض، أو أنها لا تؤذي الإنسان، والإنسان يؤذي بعضه بعض، لم يكن جنس الطير جانياً على البشرية بعكس الإنسان.

ثم تمضي في فلسفة غامضة وماذا تقصد بهذه الفلسفة عندما قلت لقد فرعتنا قدرة أزلية وهي التي ترجعنا إلى أصلنا نحن نوافق معك على أن قدرة الله هي أزلية وقد خلقت البشرية بحكمة تخفى على العقول والموت حكمة ولا يصدر منها إلا صلاحا وحكمة، أما رؤيتك فيها فهي ليست واضحة وقصدك غامض، وقد أشرت أيها الشاعر الفيلسوف إلى مرور الأيام وما تذكرنا فيها من ذكريات حبيبة أو مُرّة سوف ننساها على طول الزمن،

---

(١) القنس: الأصل.

هذه حقيقة لا مراء فيها، والنسيان من نعم الله على العبد إذ لو لم ينسَ مصائبه لعاش في حياة كئيبة لابساً فيها الحزن ولا أعرف البيت الأخير وربطك للذكريات إلى عدم النظر إلى نساء النصارى اللاتي يذهبن للكنيسة وما هي الرؤية التي تخص النساء حين ذهابهن للكنيسة.



وقال أيضاً في السين المكسورة مع النون:

إذا حضرَت عندي الجماعة أو حشت ... فما وحدتي إلا صحيفةُ إيناسي
طهارةُ مثلي في التباعد عنكمُ ... وقربكم يجني همومي وأدناسي
وألقى إليَّ اللبُّ عهداً حفظتُه ... وخالفتُهُ غيرَ الملولِ ولا الناسي
وأعجبُ مني كيف أخطىءُ دائماً ... على أنني من أعرف الناس بالناس
نصحتُك يا أمَّ البناتِ فحاذري ... وساوس ولاج الأساود خناس
ولا تلبسي الحجلين بنتك والبرى ... لتشهد عُرساً واشغلِنها بعرناس

أيها الشاعر الفيلسوف صبراً من طول رحلتنا معك ومن كثرة تساؤلنا وتحاورنا في هذه المحاورة الأدبية التي ندت من شفتك من تصوير في صور متلونة الأفكار متناقضة الرؤية فنقف معك في هذه القطعة التعبيرية فنبدأ بالحديث فيها عندما صورتَ أم دفر وهي الدنيا أنها تغري البشر بغنائها وتعود في مجالسهم برقصها وغنائها فتلهي البشرية وهي لا يؤمن مكرها حيث تتلون كالحرباء فتأتي إلى المرء الذي لم يوافه حمامه وقد تعلي الفقير المفلس وهكذا أم دفر دوارةٌ مكّارة، وقد ساويت أيها الفيلسوف الجبان بالشجاع وضربت مثلاً بجبن حسان بن ثابت بالبطل الكميّ لأن الموت آتٍ على الاثنين ولا يستوي الجبان والشجاع ولا الظلمات والنور، والمتنبي الحكيم الذي كنت معجباً به فرّق بين الشجاع والجبان حيث يقول:

ولـو أنَّ الـحيـاة تبقى لـحـيٍّ لعــددنـا أضلَّـنـا الـشجـعانا

وقد تمنيتَ في هذه القصيدة ولا تفيد الأماني أنك لم تكن في هـذه البشرية، وكنت كالوحوش تعـيش بالبيـداء، وعللـت بـأن الـوحش يؤجـل الأزهار ويعلل بها نفـسه ويعـيش بعيـداً عـن شـر الإنـسان الـذي يحيطـه بالمجالس، وضربت مثلا لمجالس الشر بتـصويرك الـذي يـسكن الأمـصار يضببه الأذى، فهو عاشقٌ لإبلـيس، ويعـيش مـع الأبالـسة، وأبـدعتَ حـين صورت دَويٌّ الشر الذين شبهتهم بالأسـود والـذئاب وهـم يـسلبون طعـام الضعيف ويظلمونه ونصيحتك لهم أن يقيئوا ذلـك الطعـام الـذي اغتـصبوه وهذه النصيحة لا تنجيهم من ظلمهم يوم الفزع الأكبر إلا برد الحق إلى أهله أو بالعفو من المظلوم، وتختم هذه القصيدة التصويرية بخاتمةٍ فيهـا تغليـف وإشارة مطلسمة لا أسـتطيع فهمهـا ومـاذا تـدور عليـه حيـث صـورتَ أنَّ الفوارس أصحاب الخيول التي ذهبت إلى الروم من الذين ذهبـت عقـولهم ومن أصحاب الغش والخيانة، وعللتَ ذلك بأنك إذا طلبتَ خـلاً لـم تجـد خليلاً إلا مدلس، وهذه الرؤية كما أشرتُ أنني لا أستطيع أن أجلوهـا علـى حقيقتها وما يدور وراء حروفها أخشى من أكون مخطئاً لك في شرحها.

وقال أيضاً في السين المكسورة مع النون والبسيط الثاني:

والخنّس الخمس ما يخلو فتًى ورع — من ماردٍ في ضمير الصدر خناس
عداوة الحمقِ أعفى من صداقتهم — فابعُدْ من الناس تأمن شرّة الناس
قد آنسوني بإيحاشي إذا بُعدوا — وأوحشوني في قُربٍ بإيناسِ
والشرُّ طبعٌ وقد بُثّتْ غريزتهُ — مقسومة بين أنواعٍ وأجناسِ
ذكرتَ لفظاً وأنسيت المراد به — من قائليه فأنت الذاكر الناسي
تخرّص القوم في الأخبارِ أو مسخوا — فبُدّلوا بعد إنس جيلَ نسناس
تصعّدَ الجوهر الصافي وخلّفنا — في الأرض كثرة أوساخٍ وأدناس

ونعود لنقف معك أيها الشاعر الفيلسوف في رؤية فلسفية صورتها بمنظارٍ مظلمٍ يعكس هذه البشرية في حروف لا تخلو من مصداق ينطبق على كثّرةٍ من الإنسان إلا ما رحِمَ ربي وهم قُليلون الذين حفظوا إنسانيتهم وعاشوا بها في مجتمعٍ يلهث وراء المادة حتى آخر لحظة من حياة ذلك الإنسان أما نظرتك التشاؤميّة التي تصور البشر أنهم عاشوا في شك وخرس وظنون مظلمة، وشريحة أخرى لا تصل للحقيقة حتى مسخ الإنسانَ وتحول إلى قرد في رؤياه وأنت تأنس ببعدهم عنك وقربهم يؤذيك لأن البشر في رؤيتك كله شرٌ فتنجو بنفسك عنه وتنأى لتنعم في وحدتك وإن كانت وحدة خرساء وما أدري لعل قوما من بني الإنسان أن يصادقك على هذه الرؤية وبعضٌ سيخالفك وينتقدك ولكنك سجلت خاطرتك ومضى عليها مئات السنين وهي لا تزال ذكرى حية.

وقال أيضاً في السين المكسورة مع الطاء وياء الردف:

لله لطـفٌ خفـيٌّ فـي بريّتِـهِ   أعـيا دواءُ المنايـا كـلّ نطـيسِ[1]

ما بالُ أشباحِ قومٍ في الثرى جُعلت   لم تُبـقِ إلا حـديثاً في القـراطيسِ

ونعود معك أيها الشاعر الفيلسوف لنتحدث معك في حرفك التصويري الذي رسمت فيه صورة متحركةً حيث تحدثتَ عن ألطاف الخالق التي يفيضها على عبيده ولا يصلون لأسرارها لأنهم مخلوقون هذا معنى الصدر أما العجز فإن المنايا إذا جاءت لا يقف أمامها حاجز أو يدفعها طبيب أو قوة أو جنود فهي تمضي على من أجريت عليه شاء البشر أو لم يشاء لأن الملك للخالق القهار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وتحدثتَ عن من يزول من هذه الدنيا إلى الحياة الباقية فصورتهم كأشباحٍ سفا عليهم التراب ولكنَّ أقوالهم لا تزال في الأوراق فهؤلاء حسب رؤيتك وتعبيرك هم الذين حظوا بحظ كبير حيث لا تزال الأجيال تقرؤهم وتسامرهم في هذه الحياة.

(١) النطيس: الطبيب الحاذق.

وقال أيضاً في السين المكسورة مع الميم:

كأنَّ منجّم الأقوامِ أعمى ... لديهِ الصُّحفُ يقرؤها بلمسِ
لقد طال العناءُ فكم يعاني ... سطوراً عادَ كاتبُها بطمسِ
دعا موسى فزالَ وقامَ عيسى ... وجاءَ محمّدٌ بصلاةِ خمسِ
وقيلَ يجيءُ دينٌ غيرُ هذا ... وأودى الناسُ بين غدٍ وأمسِ
ومَن لي أن يعودَ الدينُ غضّاً ... فينقعَ من تنسّكَ بعدَ خمسِ[1]
ومهما كان في دنياكَ أمرٌ ... فما تُخليكَ من قمرٍ وشمسِ
وآخرُها بأوّلها شبيهٌ ... وتُصبحُ في عجائبها وتمسي
قُدومُ أصاغرٍ ورحيلُ شيبٍ ... وهجرةُ منزلٍ وحلولُ رمسِ
لحاها اللهُ داراً ما تُداري ... بمثل المَينِ في لججٍ وقمسِ
إذا قلتُ المحالَ رفعتُ صوتي ... وإن قلتُ اليقينَ أطلتُ همسي

وقفة أيها الشاعر الفيلسوف لنحاورك في قصيدة طافحة بالفلسفة وما فيها من صور شكيّة ومعان تناقضية هل الحياة عندكَ أيها الفيلسوف صورة مضطربة كما يضطرب قَلب العاشق أو قلب الحزين فأقرب لك اضطراب الحزين لأنَّ قلبك لم يزرع فيه حبٌّ لأنثى إنما هو قلب حزين

---

(١) ينقع: يروي ظمأه. والخمس: لعلها إشارة إلى الشرائع السماوية الخمس وهي شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ.

غارق في بحر الشكوك وسابحٌ في موج الضباب لا يكاد يخرج منهما ليلمح نور الشمس لحظةً حتى يضبب أُفقه بليلٍ أليل فتحدث معنا واشرح لنا هذه الأسرار، حيث صورتَ أن بعض منجميٍ القوم صورته لا يبصر ولعلك تقصد هنا بصر القلب لا العين فعندما يتخرس الحوادث كأنه يلمس صحف مطموسة لا حروف فيها فهو لا يخرج من تلك الحوادث بأثر صدق، فهو يعاني من بحثه كما يعاني الكاتب الذي يكتب أسطراً طويلة ولكنها تعود تلك الجهود مطموسة كما تطمس الحروف، وهذه الإشارة البعيدة التي أشرت بها للمنجم وللكاتب الذي عاد بحرمان وخسران ماذا تقصد بهما حتى جعلتهما جسراً ومطاف لتعبر عليهما لحياة الأنبياء أولي العزم.

فبدأت بالنبي موسى وقلت إنه زال، ثم جاء النبي عيسى، وجاء نبي الرحمة بصلاة خمس، وهؤلاء هم من أولي العزم صلى الله عليهم وعلى نبينا نبي الرحمة الذي بعث رحمة للعالمين، ونتحاور معك ونقدم لك استفهاماً ماذا تقصد من هذا البيت الذي بعد أن طعنت بالمنجمين وكاتب السطور نطلب منك تفسيره وشرحه، أيها الفيلسوف لقد وضَحَتْ مرئياتك في هذا البيت التي هي صورة من شكوكَ واضطرابات أفكارك حيث ترى أنه يجيء دين بعد دين محمد بن عبد الله ﷺ فصار الناس في حيرة من أمرهم، ونعلق على هذه الرؤية المظلمة فإن الرسول محمد هو خاتم الأنبياء ولا نبوة بعد نبوته ولا دين بعد دينه حتى يرث الله الأرض ومن عليها فهو الخاتم التي ختمت به الشرائع السماوية وسيبقى دينه حتى قيام الساعة ومن يرى خلاف ذلك فهو غير مسلم بل هو خارج من ملّة الإسلام، وإننا نخالفك في هذه الرؤية فإن دين محمد ﷺ لا

يزال غضاً يروي الأرواح والقلوب ونؤمن به وبالأنبياء الذين سبقوه وهم أصحاب الشرائع الخمس التي أشرت لهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وختمتَ حرفك بمقولة واضحة تنبئ عما انطوت عليه الحروف الماضية وتوضحها في صورة جلية حيث إذا قلت المحال الذي لا تعتقد به يدوي به صوتك في المحافل والنوادي وإذا قلت الصحيح الذي تعتقده نطقته همساً أي خفياً لا يسمعه أحد إلا أنتَ، وهذه الخاتمة تنبئ عن شكوكك المظلمة التي هي في قلبك ليلٌ دامس إذا أخرجت يدك لم تكد تراها واسمح لي بهذا النقد أو الهجوم العنيف لأنني أصور الواقع الحقيقي الذي لا زيف فيه ولا مراء.



وقال أيضاً في السين المكسورة مع الراء:

قـالَ قـومٌ ولا أدينُ بمـا قـالوهُ إنّ ابـنَ آدمٍ كـابـن عـرسِ
جهلَ النـاسُ مـا أبـوه على الدهـ ـر ولكـنّهُ مُـسمّى بـحَرْسِ[1]
فـي حـديثٍ رواهُ قـومٌ لقـومٍ رهنَ طِرس مُستنسط بعد طرسِ

وقفة أيها الشاعر الفيلسوف لنتحاور معك فقد طال معك الحوار والجدال واختلاف الرأي ولكنَّ اختلاف الرأي لا يؤدي إلى الغضب فإن حرية الرأي قد كفلها الفكر للإنسان فنبدأ معك في هذه الصورة التعبيرية التي بدأت بها من ضباب الشك في أبي البشرية فحرتَ في أبيها فقلت إنك لا تدين أنَّ ابن آدم ليس له أب وإنما خلق بإرادة ربانية كن فيكون وشككت في ذلك وقلت إن بعض الأقوام قالوا إنه كابن عرس، وإنهم جهلوا من أبوه فسمَّوْه بحَرْسٍ، وهذه التسمية تناقلها الأقوام من كتاب لآخر وأنت لا تؤمن بهذه الآراء، وظللتَ في بحرٍ من الشك وليلٍ من الضباب لم يتخلل ذلك الضباب أشعة الحق لتنير قلبكَ فإنَّ الحق هو ما قاله الكتاب المنزل على نبينا محمد ﷺ حيث يقول: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ صدق الله العظيم.

---

(١) الحرس: الدهر.

وقال أيضاً في السين المكسورة مع الكاف وألف الردف:

طـاعمٌ أنـتَ واردٌ عـذبَ مـاءٍ ... مُعـرس بالـفتاةِ حـاذٍ كاسـي
فاتّـقِ اللهَ لا تؤمّـنْ مـا يقـ ... ـبحُ من ريبةٍ ومن شرب كـاسِ

ونحب أيها الفيلسوف أن نقف معك ولو لحظات تحاورية في قطعتك الوعظية التي تعظ بها الإنسان في هذه الحياة وتحدثنا فيها عن ترك الآثام فقد صورت كيف ينغمس الإنسان لاهياً في دنياه متمتعا بشرابه وطعامه وبالفتاة وبالكأس ولم يتقِ الله ولم يراعِ العواقب فهذه موعظة ولكنك بعد لحظات ستعود إلى شكك الضبابي الذي رانَ عليك.

وقال رحمه الله في الفاء المضمومة مع الراء والبسيط الأول:

ما كان في هذه الدنيا بنو زمنٍ   إلا وعنديَ من أخبارهم طرَفُ
يُخبرُ العقلُ أنّ القوم ما كرموا   ولا أفادوا ولا طابوا ولا عرفوا
عاشوا قليلاً وماجوا في ضلالتهم   ولا يفوزونَ إن جوزوا بما اقترفوا
إذا شقيتَ فجسمٌ ناله نصبٌ   وإن تُرِفت فماذا ينفعُ الترَف
يا أمّ دفرٍ لحاكِ الله والدةً   منك الاضاعة والتفريط والسرف
لو أنك العرس أوقعتُ الطلاق بها   لكنك الأم هل لي عنك منصرف[1]
ولن يصيب خُفافاً من يقايضهُ   يوماً بندبةَ لمّا فاتها الشرَفُ[2]
قالت رجالٌ عقول الشهبِ وافرةٌ   لو صحَّ ذلك قلنا مسّها خرفُ

إن السهرة لم تنتهِ معك أيها الشاعر الفيلسوف بل تحلو ونودُّ إطالتها معك ونحب أن نتحدث معك ونتحاور في هذه القصيدة التصويرية التي صورت فيها ما عندك من علمٍ عن الأزمان المختلفة التي سبقتك حيث قلت، ما مر من بني الدنيا إلا وعندك من أخبارهم طرفٌ.

وأردفت أن عقلك ينبّئ عن القوم أنهم ما كرموا ولم يفيدوا مجتمعهم ولم يعرفوا كيف يستفيدون من حياتهم، ووصفتَ القوم الذين

---

(١) العرس: يقصد بها الزوج.

(٢) خفاف: هو الشاعر ابن عمير بن الشريد وكان أسود، وأمه ندبة وهي سوداء.

تحدثت عنهم أنهم عاشوا عيشة كعيشة الظل في هذه الحياة وجنوا الآثام وقد مضوا بما اقترفوه والشقي منهم كان مكدود الجسم مرهق من النصب والمترف لم ينفعه الترف لأن مصيره إلى التراب خلق من التراب وسيعود إلى التراب، ثم تخاطب أم دفرٍ وهي الدنيا وتنزلها منزلة الأم غير الحنونة لأن فيها الإضاعة والسرف ولو كانت زوجة لأوقعت البينونة منها أي الطلاق لأنها أم والأم لا تطلق، والدنيا كما وصفتها، ولكن ما كانت يوم ما بمنزلة الأم، لعلها بمنزلة الضرة الحقودة التي لا تحمل في قلبها ذرات من العاطفة أو الحنان، وضربت مثلا بالشاعر خفاف بن عمير لأن لونه أسود وأمه أمة سوداء وقد فات أمه الشرف فالدنيا على مَثَلِكْ قد فاتها الشرف أما خفاف نفسه ففي رؤيتنا أنه حاز مجد خلود التاريخ ولم يؤثر عليه لونه أو كون أمه أمة لأن الأدب هو الذي رفعه ولو لم يكن في سجل الخالدين لما استشهدت به وضاع وراء جدران التاريخ.

وقال أيضاً في الفاء المضمومة مع القاف والوزن والروي المتقدم:

يُنّجمون وما يدرون لو سُئلوا ... عنِ البعوضةِ أنّى منهمُ تَقِفُ

وفرّقتهم على علاّتِها مللٌ ... وعند كل فريقٍ أنهم ثُقفوا

دعِ البريةِ للخطبانِ تأكلُهُ ... فإنهم كنعامٍ فيه ينتقف[1]

ولو درَت بمخازيهم بيوتهم ... هوَتْ عليهم ولم تُنظرهم السقف

ونقف معك وقفة قصيرة لنتحاور معك في رؤياك حول المنجمين فقد صورتَ رؤياك في هذه القطعة حيث قلت إن المنجمين يدّعون المعرفة بما يدور في الأفلاك وهم جهلاء لا يعرفون موقع البعوضة في أين تقف وحتى لو وقفت بجانبهم، وقد فرّقتهم ملاتهم عللاً فهم شتى ويحسبون أنهم على قسط من الثقافة وهم يجهلون ذلك، وتصور بعد تجهيلك للمنجمين أن البريّة هم كالأنعام تأكل الحنظل ولو عرفت بيوتهم مخازيهم لانهارت عليهم سقوفها بدون إنذار فكيف يعرفون ما يدور في الأفلاك.

(١) الخطبان: الحنظل إذا اشتد وصارت فيه خطوط.

وقال أيضاً في الفاء المضمومة مع اللام ومثله في الوزن والروي:

إنا معاشرَ هذا الخلقِ في سفهٍ ... حتى كأنّا على الأخلاقِ نختلفُ
إنّ الرجالَ إذا لم يحمها رشدٌ ... مثلُ النساء عراها الخلف والخلفُ[1]
ألا ترى جمعَ ما لا عقل يسنده ... جمعَ المؤنثِ فيه التاءُ والألفُ
ويوصفُ القومُ في العلياء أنهمُ ... شمُّ الأنوفِ وفي آنافهم ذلفُ[2]
كم من أخٍ بأخيهِ غيرَ متّصلٍ ... كالعينِ ليست بلفظِ الخاء تأتلفُ
تلافَ أمرك من قبلِ التّلاف به ... فغايةُ الناس في دنياهمُ التلفُ
ولا تقولن إذا ما جئتَ مُخزيةً ... قولَ الغواةِ على هذا مضى السلفُ
لا تحلفنّ على صدقٍ ولا كذبٍ ... فما يُفيدكَ إلا المأثم الحلِفُ
لولا حِذارى أن اللّهَ يسألني ... عما فعلتُ لقلّتْ عنديَ الكلفُ
كنا فتوّاً فقد مُدَّ البقاء لنا ... حتى غدونا ومنا الشيبُ والدلفُ[3]
يَفنى الزمانُ وأنفاسُ الأنامِ له ... خُطًى بهنّ إلى الآجال يزدلفُ
وأمُّ دفرٍ فروكٌ وافقت صلفاً ... مني وكان جزاء الفاركِ الصلفُ[4]

---

(١) الخلف بالضم: لا ينجز الوعد. والخلف جمع أخلف وهو الأحمق.
(٢) الذلف في الأنف: قصره وغلظه.
(٣) الفتو: الشباب. الدلف: المشي بعجز وبطء.
(٤) الفارك: التي تبغض زوجها. والصلفة: الجفاء وعدم الاهتمام.

وكم ضحكتُ إليها وهي عابسةٌ ثم افتكرتُ فزال الحبُّ والكلفُ
والناسُ من أربعٍ شتىّ إذا ائتلفت رُدّت إلى سبعة في الحكم تختلف
اقرأ كلامي إذا ضمَّ الثرى جسدي فإنــه لــك مــمنْ قالــهُ خلــفُ

وعندما نتحدث معك في هذه القصيدة التصويرية التي عبّـرتَ فيهـا عن هذه الحياة وصورتَ زهدك فيها وعدم طمعك في مظاهرها، وصـورت الخلائق أنهم يعيشون في حياة سفهٍ وإذا لم يستضىء بالرشاد وهم كالنـساء يدب فيهم ويستشري خُلـف الوعـد وعقـل الأحمـق والخُلـف والحماقـة يهدمان المجتمع، وضربتَ لنا مثلاً في قاعدة نحوية إنّ لفظة المؤنث يلحقه الألف والتاء وأنتَ مع المرأة على خطٍ مبغضٍ لها وحتى في التأنيث اللفظي فضلاً عن التأنيث المعنوي، وتهون من الذين كانوا يعيشون في القمم التـي عبّرتَ عنهم في العلياء أنهم واهمون وإنما هم قصيرو الأنوف أي يعيـشون في السفح.

وصورتَ الفرقة التي هي بين الأخ وأخيه كفرقة حـرف العـين مـن حرف الخاء، وتحظر الإنسان أن يصلح شأنه ويتلافى ما فـرط مـن أعمـال اقترفها لأن غاية البشر إلى الهلاك، ولا تعلل إذا اقترفتَ ذنباً بأن السلف قـدْ عمله فهذا التعليل لا ينجحك ولا يفيدك، ونهيت الذين يستعملون الأيمـان فيقسمون على الكذب والصدق وهـذه الأيمـان مـدعاةٌ إلـى هـدم البيـوت وتدمير الديار لأنها تصدر عن قَسَمٍ كاذب، وأما نهيك عن يمين الـصدق إن كان نهيك عن الكثرة لعله لـه وجـهٌ وإن كـان نهيـاً مطلقـاً فمـا أدري مـاذا تعليلك له، وعدتَ بعد نهيك عن اليمين إلى صحوةٍ مـن صـحوات الواقـع التي رأيتها وقلتَ لولا حذارك أن الله يسألك فهو سـألك وسـائل كـل مـن

يلقاه يوم الحساب، ووصفت مرور الإنسان بمراحل الحياة من فتوّة إلى شبابٍ ثم شيخوخة إلى شيخوخةٍ واهنة، وهذه سُنة الحياة يصرفها خالقها كيفَ شاءً لا كيف ما يشاء الناس، وإنَّ الزمان ينقضي ولكنه يسرع بالأنام إلى مصارعهم، ووصفت الدنيا التي هي أم دفرٍ بأنها صلفة وأنها باغضة والحياة يتهافت عليها أبناؤها برغم ما يؤدي هذا الحب إلى مهالك المحبوب وتودي بهم في طرق شائكة مظلمة، وأغرتك يوماً ما فضحكتَ لها وبششتَ ولكنك عدتَ فقطبتَ وعبَّسْتَ أسارير وجهك لعلك لم تظفر منها بمرادك، وختمتَ قصيدتك التصويرية بطلبك قراءة ما تصوره من حرفٍ عندما يضم جسدك التراب ليكون عِبرةً لمن يأتي بعدك.



وقال أيضاً في الفاء المضمومة مع الراء ومثله في الوزن:

خابَ الذي سار عن دنياه مرتحلاً ... وليس في كفهِ من دينه طرَفُ
لا خيرَ للمرءِ إلاّ خيرُ آخرة ... يبقي عليه فذاك العزُّ والشرف
نرجو السلامة في العُقبى وما حسنت ... أعمالنا فيرَجّى الفوزُ والغرَف
ما بانَ قومٌ عن الأولى بما جمعوا ... من الحطام ولكن بالذي اقترفوا
سألتُ عقلي فلم يُخبر وقلتُ له ... سل الرجالَ فما أفتوا ولا عرفوا
قالوا فمالوا فلما ان حدَوْتهمُ ... إلى القياس أبانوا العجزَ واعترفوا
جارانِ مَلكٌ ومحتاجٌ أتى زمنٌ ... عليهما فتساوى البؤس والترفُ
إن تركب الخيل أو تضرب مراكبها ... من عسجد فإلى الغبراء تتصرف
والفقر أحمدُ من مالٍ تُبذّرهُ ... إنّ افتقارَك مأمونٌ به السّرفُ
يَعرى الفقيرُ وبالدينارِ كسوتهُ ... وفي صوانك ما إعدادهُ خرفُ[1]

وقفةً أيها الفيلسوف حول ما صورته بقصيدتك الفنية التعبيرية من أسلوبٍ فني يجسد العبرَة ويصور للإنسان ما ينفعه وما يضره فلنقف عند هذه المَشاهد التصويرية مشهداً مشهد: فإن الذين يرتحلون من هذه الحياة وضمائرهم خالية من الإيمان وكفهم مصفرة من الدين، وإنَّ المشهد الثاني

---

(١) الصوان: ما تحفظ فيه الثياب.

يصور صاحب العز والشرف هو الذي يمضي من هذه الدنيا الفانية إلى الحياة الباقية وهو عامر القلب بالدين والإيمان وذاك العز والشرف، ونتمنى الفوز في الأخرى بالعفو والمغفرة ونيل الدرجات في الغرف ولكننا لا نعمل للوصول لها فالأماني لا تفيد بدون عملٍ، وليس القوم يمضون بحطام هذه الدنيا إنما يتركونه ويمضون بما اقترفوه من آثام وهذه الحقيقة الواقعية التي لا يحسب لها الإنسان حساباً، وهنا الشيخ المعري يبدأ في سؤال تجاهليٍّ فيسائل عقله ولكنَّ عقله لم يجبه ويحيله على رجالٍ صدروا أحكام وفتاوى وهم لا يعرفون منها شيئاً، ويضرب مثلاً لعدم معرفتهم حسب رؤيته فإنهم مالوا إلى ما يحبونه، وعند ذلك الميل تحداهم الشيخ المعري فيما قاسوه ولكنهم عجِزُوا وما أوصلوه لما يريده حسب تعبيره ورؤيته، ولا يقف الشيخ المعري من ضرب الأمثال فيضرب لنا مثلاً حياً إن ملك وبائس تجاورا في هذه الدنيا وعندما رحلا منها وصارا إلى الحياة الباقية تساويا على صعيد واحد، وذهب سلطان ذلك الملك وهذه عِبرَة لمن اعتبر، ويحدثنا الشيخ المعري أنَّ الذي يركب الخيل وينعل حافريها بالعسجد أي الذهب فمصيرهم للغبراء أي للانتهاء لا فرق بينهما وبين البائس الفقير، ويفضل الشيخ المعري الفقر على الغنى لأن الفقير ليس في إمكانه الإسراف كما يسرف الغني ويبذر التبذير في طرقٍ وقد يكون أخوه محتاجاً لهذا الدينار ولكنه يحرمه ويهرقه في لذاته التي تعود عليه بالضرر وحتى يعرى أخوه الفقير ولا يقدم له ديناراً لكسوته ليصون به جسمه مع أن في محفظة الغني ما يغنيه ويغني أخيه الفقير.

وقال أيضاً في الفاء المضمومة مع الياء وألف الردف والبسيط الثاني المرادف بالألف:

الأرضُ لله ما استحيا الحلول بها ... أن يدّعوها وهم في الدار أضيافُ
تنازعوا في عواريٍّ فبينهم ... نَبْلٌ حطامٌ وأرماح وأسياف
إن خالفوكَ ولم يَجْرُرْ خلافهُم ... شراً فلا بأسَ أنّ الناس أخيافُ

وهنا يقف الشيخ المعري ليصور جشع البشر على هذا الكوكب فيصور هذا الجشع بأسلوبٍ دقيق تلمسه وتحس رؤيته فيصف أن الأرض هي ملك لله الواحد القهار والبشر الذين هم عبيدٌ لمالكها لم يخجلوا حتى ادَّعوا ملكيتها وهم يرون أنفسهم لا يملكون شيء وإنما هذه الملكية هي ملكية عارية قد تزول والمالك لها يسير في هذه الحياة وقد يزول هو وما حقيقة هذا الملك إذا كان التملك له تملك عاريّ لا يتصرف فيه تصرفاً حقيقياً، وقد يمضي ويترك ملكيته العاريَّة ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا على أنهم يتنازعون في حطامٍ عاريَّة تملكه يتنازعون عليه بالسيوف والرماح والحراب فيقتل بعضهم بعض والملك ليس لهم إنما هو للمالك الحقيقي الذي خلقهم وخلق السموات والأرض، وخلاف البشر مع بعضهم بعض في رؤية الشيخ المعري إذا لم يجر ذلك الخلاف شرا من بعضهم لبعض فلا مانع عنده من ذلك ثم يعقب فيصف البشر بأنهم أشباح مخيفة لبعضهم بعض.

وقال أيضاً في الكاف المضمومة مع الباء:

ضَحِكنا وكان الضِّحك منا سفاهة وحُقّ لسكّان البسيطة أن يبكوا
يُحطّمنا رَيبُ الزمانِ كأننا زُجاجٌ ولكن لا يعاد له سبكُ[1]

وهنا نقف مع الشيخ المعري في هذه المقولة التعبيرية التي غامت على أجواء الشيخ المعري فدخل محراب باب الشك وأراد أن يسرج شموعه ولكنها أخمدها عاصف الشك والريب فيصور ضحكنا في الحياة بأنه سفاهةٌ والأجدر بأبناء الحياة أن يبكوا وألاّ يضحكوا لماذا فيعلل الشيخ المعري لأننا نشبه القوارير فيحطمنا ريب الزمان ولكنّ هذه الزجاجات لا تعود لأنها لا تسبك وهذه الرؤية التي يبطنها الظلام غير حقيقية فإن الزجاج يعاد له سبك فكيف بالإنسان الذي خلقه خالقه من لا شيء ثم كان شيئاً، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

أليست النشأة الأولى أصعب من النشأة الثانية لأن الأولى أنشئت من غير مادة فكيف بالنشأة الثانية للإنسان صورة ومادة ولا على قدرة الله شيءٌ لا يستطاع بل كل شيءٍ تحت مشيئته وقدرته.

---

(١) سبك الزجاج: إذابته وإفراغه في القالب المعد له.

وقال أيضاً في الكاف المفتوحة مع اللام وواو الردف:

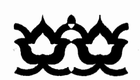
رأيتُ بجنحٍ في الزمانِ حُلوكا ... وللشمسِ فيها مشرِقاً ودلوكا
خطبتَ إلى الدنيا بجهلكَ نفسها ... فلم تستطع فيما أردتَ سَلُوكا
وهل ينكح المرءُ الموَفّقُ أمّهُ ... ولو أصبحت بين الرجال هلوكا[1]
وكم حلّ فيها معشرٌ بعد معشر ... من الناس عاشوا سُوقةً وملوكا
فما بلغتهم منك بعد رحيلهم ... ألوكٌ ولا أهدَوا إليكَ ألوكا
وقفتَ على أجداثِهم وسألتهم ... فما رجعوا قولا ولا سألوكا
ولا علم لي من أمرهم غيرَ أنهم ... لو انتبهوا من رقدةٍ عذلوكا
تخلّفتَ بعد الظاعنينَ كأنهم ... رأوكَ أخا وهنٍ فما حملوكا

وهنا نقف مع الفيلسوف المعري لنتحاور معه في قطعته التعبيرية التي وصف فيها تعاقب الليل والنهار وحركة الجديدين التي تولدهم حركة الشمس عندما تدور حول نفسها فيولد منها وما يطرأ فيها من أحداث ومفاجآت وتمضي أيها الفيلسوف في فلسفتك فتشبه الدنيا بحسناء خطبهاً المرء لينكحها وهي أمه فكيف يجوز للمرء أن يتزوج أمه ولو كانت هلوك (فاجرة) وتستمر في وصفك التصويري فتصور محيط الحياة وكيف يمر بها معشرٌ بعد معشرٍ وبعد ذهابهم من هذه الحياة لم نتحصل على خبر من

---

(١) الهلوك: الفاجرة.

أخبارهم فهم لا يرسلون لنا برسائل من عالمهم لعالمنا ولا يهدون شيئاً فالأخبار بيننا وبينهم منبتّة ولكنني أختلف معك فأخبار الموت والقبر والساعة كلها هي عندنا تفصيلا أو إجمالاً مما علمنا من نبي الرحمة الرسول الأعظم ومن آله الذين تلقوا علمهم من جدهم ﷺ، وتستمر أيها الفيلسوف في وصفك لذوي الأجداث حيث قلت إنك وقفتَ على أجداثهم وهتفت بهم وسألتهم فما ردوا عليك جواباً ولو بُعثوا لقَرَّعوك باللوم ولمّا رأوك أخا ضعف ذهبوا عنك وما حملوك وما الإنسان إلا سابق ولاحق ليس تأخيره عن ضعف في المتقدم حتى لم يحمله وليس له خيارٌ أو أمرٌ أو نهي إنما الأمر هو بيد من خلقه وقدر له الحياة والموت.



وقال أيضاً في الكاف المفتوحة مع الراء:

الموتُ رَبعُ فناءٍ لم يضع قدَماً ... فيه امرؤ فثناها نحو ما تركا
والملكُ للهِ من يظفر بنيلِ غنى ... يردُدْهُ قسراً وتضمن نفسه الدرَكا
لو كان لي أو لغيري قدْرُ أنملة ... فوق التراب لكان الأمرُ مشتركا
ولو صفا العقل ألقى الثقل حامله ... عنه ولم ترَ في الهيجاءِ مُعتركا
إن الأديمَ الذي ألقاهُ صاحبه ... يُرضي القبيلة في تقسيمهِ شُرَكا
دع القطاة فإن تقدر لفيك تبتْ ... إليه تسري ولم تنصب لها شركا
وللمنايا سعى الساعون مذ خُلقوا ... فلا تُبالي أنصَّ الركبُ أم أرك[1]
والحتف أيسرُ والأرواحُ ناظرةٌ ... طلاقها من حليلٍ طالما فُرِكا
والشخصُ مثل نُجيبٍ رام عنبرة ... من المنون فلما سافها بَرَكا

وقفة نتحدث معك أيها الفيلسوف في هذه القصيدة التي طلعت علينا من خلال حروفها في جوٍّ صافٍ غير متلبد بليل الشكوك ولا مبطن بضباب ظلام أفكارٍ منحرفة إنما طلعتْ علينا في حرفٍ يضيءُ وهو توحيد الله الذي لا شريكَ له وبدأتَ حرفك التعبيري بوصفكَ للموت وإنّ الموت سوف يأتي على كل حيٍّ، وإنّ الإنسان مهما طال من الغنى والثروة فسوف

(١) الأراك: مصدر أركت الناقة إذا لزمت مكانها فلم تبرح.

يتركها ولا يبقي أثراً له بها، ويعجبني هذا التصوير الذي صورته لو كان لي أو لأي شخصٍ مقدار أنملة من التراب لكان الأمر مشتركٌ ولكنه لا ملك لي من هذا التراب فضلا عن هذه الحياة فهو لله الواحد الأحد الذي لا شريك له في ملكه، ولا عديل له ولا ظهير، بل هو واحد فرد صمد، وتستمر في هذا الحرف التصويري فتصور أنّ العقل لو كان صافياً لم تتراكم عليه غيوم المطامع لما وجدت هذه الحروب الطاحنة بين بني الإنسان فالأخ يقتل أخيه، وتضرب مثلاً أنّ الأديم لو أنصف بني الإنسان لقسمت الحياة والأموال بالعدل فرضيَ الأخ عن أخيه، ولو كنتَ عاقلا ومنصفاً لما وضعت الشراك لصيد القطاة البريئة التي لا تزاحمك في مطامعك، وإنّ الإنسان منذ وجد على هذا الكوكب ومهما جدَّ فإنَّ المنايا هي مصيره أسار أم وقف، وتختم حرفك التصويري ببيتين يلفهما ضبابٌ في جوٍّ قاتم حيث تصور أن الموت هو أيسر وأرواح الأشخاص تنظر للحتفِ وهي دواؤها الطلاق ما دامت مبغضة لم يكن هذا المعنى واضحاً مفهومَ القصد، أما البيت الأخير فتعبر فيه وتصور الشخص كمثال عنبرةٍ من المنون فلما رام تلك العنبرة جلس لم أتصور هذه الأحرف وماذا القصد من بروك الشخص هل هو الموت وانتفاء وهج حياتهِ ما أدري ماذا تقصد الله هو العالم.

وقال أيضاً في اللام المضمومة مع الواو وياء الردف:

دنياك مثل سرابٍ إن ظننتَ بها	ماءً فخدع وإن عضباً فتهويلُ[(١)]
والجسم للروح دارٌ طالما لقيتْ	هدماً وحُقّ لربّ الدار تحويلُ
تُسوّل النفسُ آمالاً وتسألُها	فالخيرُ سؤلٌ وحسن الظن تسويلُ
مُوّلتَ والمال مثل الفيء منتقل	فليغدُ منك على عافيك تمويلُ[(٢)]
أخذتَ ميثاقَ أيمٍ غُررْتَ بها	وما على ذلك الميثاق تعويلُ
في قبضةِ الله أعمارٌ مقسّمة	لها إذا شاءَ تقصير وتطويلُ

وقفة أيها الفيلسوف في هذه القطعة التصويرية التي نتحدث معك في مقاطعها حيث صورت أن الحياة هي كسرابٍ إن ظن المرء أن سرابها ماء فهو يخدعك كما يخدعك السراب وإن ظننتٌ أنها سيف قاطع فأنت في تهاويل من الخطوب، وتمضي في فلسفتك وتصور الجسم هو سكن للروح وحق لك أن تهدمه وتتحول من مسكنٍ لآخر، وتصور ما تمنيه نفسك من خير وسؤل وجمع من حطام هذه الدنيا مع علمك أن المال كالظل ينتقل ويفر من يدك كما يفر الطيف من العين فخيرٌ لك أن تبذله وتنفقه للعافين وتغرُّك هذه الحياة فتعيش بها كأنك لديك ميثاق البقاء بها لا تتحول عنها مع علمك أن الآجال بيد خالقك وتحت إرادته ومشيئته في تقصير الآجال وتطويلها.

---

(١) العضب: السيف.

(٢) عافيك: طالب عرفك.

وقال أيضاً في اللام المضمومة مع الجيم وياء الردف أول أربعة أبيات:

دين وكفر وأنباءٌ تُقصُ وفُرْ ... قانٌ ينصُ وتوراة وإنجيلُ
في كل جيلٍ أباطيلٌ يُدانُ بها ... فهل تفرَّد يوماً بالهدى جيلُ
ومن أتاهُ سجلُ السعدِ عن قدرٍ ... عالٍ فليس له بالخلدِ تسجيلُ[1]
وما تزالُ لأهل الفضلِ منقصة ... وللأصاغرِ تعظيم وتبجيلُ

أيها الفيلسوف لازلنا معك في حديثنا الذي نعيش معك فيه فنطوي صفحةً فيها إيمان وننشر أخرى فيها شكوك وريب يتضبب في جوك ويغيم على قلبك وقد بدأت هذه القطعة بشكٍ أو بتصريحٍ لا يليق بمثلك أيها الفيلسوف فصورت أن الحياة مكونة من دينٍ ولكنه كفر ومن أنباء تتحدث وفرقان ينص، وتوراة وإنجيل وماذا تقصد أيها الفيلسوف من نص الفرقان هل ينص على دين الهدى والحق هذا ما نراه أما أنت فلم تصرح عن ماذا تقصد ولكنك أعقبته ببيت تفسيري في كل جيل أباطيل يدين بها البشر ويعتنقها وهل تفرَّد لرأيك يوماً بالهدى جيل، ومضيت تصور الذين سُعدوا في هذه الدنيا وفي رؤيتك من سعد منهم في الدنيا فما له في الخلد سجل، وإن ذوي الفضل لا يخلون من المنقصة أما الجاهلون فحازوا على التقدير والتفضيل والتعظيم والتبجيل، وهذه الأفكار السوداء نخالفك فيها ونرى أنّ الهدى هو هدى لا يتغير في كل جيل والضلال ضلالٌ في كل جيل والحق واحدٌ لا يتعدد.

---

(١) السجل مشددة: الصك. أي الكتاب.

وقال أيضاً في اللام المضمومة مع القاف وواو الردف:

قُلتم لنا خالقٌ حكيم قلنا صدقتمْ كذا نقولُ
زعمتموه بلا مكانٍ ولا زمانٍ ألا فقولوا
هذا كلامٌ له خبيءٌ معناهُ ليستْ لنا عقولُ

وقد تحدثنا معك أيها الفيلسوف لنعيش معك في شكوك الضبابية التي لا تكاد أن تخرج منها فتبددها ريحٌ فسرعان ما تهدأ هذه الريح ويعود الضباب يتكثف ويتراكم في أفق نفسك وهنا كان الضباب قطعة من ليلٍ مظلم ران على قلبك فاسمع ما تقول قلتَ إنَّ لنا خالق حكيم ليس له مكانٌ ولا يقترن بزمانٍ وفي رأيك أن هذا كلامٌ مخبّأٌ لا تعقله ولا تتصوره لأنك بدون عقل، أما غير ذوي العقول فهم الذين يعتقدون بهذه العقيدة، والحق أن ذوي العقول هم الذين عرفوا الله ووحدوه ونزهوه عن كل شريك اما غير ذوي العقول هم الذين لم يعرفوا الخالق حق معرفته فتاهوا في ليلٍ مظلم وسط صحارى لا كلأ فيها ولا ماء حتى يأتيهم الموت بغتة فينتبهون على صعيد حق واقعٍ يرونه رأي العين.

وقال أيضاً في اللام المضمومة مع القاف وواو الردف:

تعالــى اللهُ فــهوَ بنــا خبــيرٌ   قد اضطُرّتْ إلى الكذب العقولُ
نقـولُ علـى المجـاز وقـد علمنـا   بـأنّ الأمـر لـيسَ كمـا نقـولُ

وقد أطلنا معك أيها الفليسوف سهرة الليلة فعـذرا إن أتعبنـاك ولـم نترك لك غفوةً لتستجم فيها فنتحدث معك في هذه القطعـة التعبيريـة التـي تحدثت فيها ووصفتَ خالقنا بأنه خبير بعبيده وهـذا حـق وإن العقـول قـد تكذب وتنشأ من عندها أخباراً لا واقعية لها فتلك العقـول تقـول مجـازاً لا حقيقةً مع علمها أنّ حديثها لا تعتقد بـصحته ولكنهـا لمـصالحها الدنيويـة تختلق تلك الأحاديث وتنشئها.

وقال أيضاً في اللام المضمومة مع الزاي:

إلــه قـــادرٌ وعبيـــدُ ســـوءٍ ... وجـبرٌ فـي المذاهبِ واعتـزالُ
وبالـكذبِ انـسرى وضـحٌ وليل ... ولـم تـزَلِ الخطـوبُ ولا تـزالُ[1]
ولـولا حاجـةٌ فــي الـذئبِ تـدعو ... لصيدِ الوحشِ ما اقتنص الغـزالُ
ومـا لـذؤالة المـسكين صـبرٌ ... فيـصرفه عـن الحمَـلِ الهـزالُ[2]
ويـسعى في المعـاشِ الخلـقُ حتـى ... مــن الــشبثانِ نــسجٌ واغتــزالُ
ولـو أمِنـتْ شِـمالُك وهـي أخـتٌ ... يمــينَكَ ظُــنّ خــونٌ واختــزالُ

لا زلنا نتحدث معك أيها الفيلسوف في فلسفتك الشعرية وقد فتحنا معك قطعةً من بنات فكرك التصويرية التي كنتَ في مقاطعها تـصور عـدم ثقتك بالإنسان حتى بلغ بك سوء الظن إلى شك يمينك فـي يـسارك وقـد أدليت بحقيقةٍ في قولك إن الله قادرٌ ولكنَّ العبيد عبيد سوء فلـيس التعمـيم هنا صحيح ففي عبيد الله شريحة لا تشكر الخالق ولا تستحي من هذه النعم التي أنعمها عليهم وشريحة تستغفره وتشكره وتعبده بإخلاص وقـد جعـل الله للمطيع الجنة مأوى له وللعاصي النـار مـأوىً لـه،أما سـوء الظـن الـذي حملته لبني الإنسان فهي رؤيةٌ تشاؤميّة أفرطت فيها وخرجت عن المقاييس

---

(١) انسرى: انكشف.

(٢) ذؤالة: الذئب.

الحياتية فالبشر ينقسم إلى عدة شرائح فقسم منها تحمل الوفاء والصدق في الإخلاص لبني جنسها وشـريحة لا تعـرف ذرة مـن الإخـلاص ولا الوفـاء وهذا اختبارٌ للإنسان في هذه الدنيا، وعللتَ افتراس الذئب للغزال الضعيف لحاجةٍ دعته لاقتناص هذا الحيوان الضعيف فأنتَ تتناقض في رؤياك حيث تهاجمُ البشر وتعتذر للحيوان الوحش.

وقال أيضاً في اللام المضمومة مع العين:

إن كان من فعلَ الكبائرَ مجبراً فعقابهُ ظلم على ما يَفعلُ
واللّهُ إذ خلقَ المعادنَ عالم أنّ الحِدادَ البيضَ منها تجعلُ[1]
سفكَ الدماء بها رجال أعصموا بالخيلِ تُلجَمُ بالحديد وتنعلُ[2]
لا تمسِ في نارِ الضميرِ فراشةً فضغائنُ الصدر الحريقُ المشعَلُ

ونفتتح سهرتنا في هذه الليلة لنتحاور مع الفيلسوف المعري فنبدأ معه الحديث في مطلع هذه السهرة ونتحاور معه في قطعته التعبيرية التي تحدث فيها بفلسفة سفسطائية فركز فلسفته بين الخالق والمخلوق وشرط إن كان فعل الإنسانٍ هو مجبر عليه فعقابه ظلم له ونسيَ أن خالقه منحه عقلاً وهداه السبيل وجعل الخيار مفتوحاً له فإما شاكراً وإما كفورا فأين الجبر وتعالى الله أن يجبر عبداً ضعيفاً ويعاقبه وهذا ظلم وإنما يأتي الظلم من ضعيف النفس الذي لا كرامة له والله أقوى الأقوياء وأعدل العادلين وأكرم الكرماء وإنما يعجل من يخاف الفوت، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، وقد تعالى الله علواً كبيرا أيها الشيخ الفيلسوف لقد ناقضت نفسك بنفسك وإن كان هذا التناقض دقيقاً غلفته بين ألفاظ قد تفوتُ على الأدباء عندما يقرأون هذه القطعة وهم معجبون بفلسفةٍ المعري وهذا التناقض عندما صورت أن العبد في شرطك الفرضي أنه مجبر على الأعمال

---

(١) الحداد البيض: السيوف.

(٢) اعصم: اعتصم.

وعدت في المقطع الثاني وأقررت أن الله هـو خـالق المعـادن وهـو العـالم سينشئ من هذه المعادن السيوف والحديد وإلى غير ذلك من الأدوات التي يستعملها البشر في حياتهم فمن كان بهذه القدرة لا يحتاج أن يجبـر عبـده الضعيف لأن عبده فقير مطلق وخالقنا غنـي مطلـق، وأشـرت فـي بيتيـك الأخيرين إلى أن البشر سفكوا الدماء على هذه الأرض واعتصموا بـالخيول فكان القوي يفتك بالضعيف والصدور تشتعل ناراً وكـأن الـضعيف فراشـة تحترق بنار القوي التي تتأجج بالأحقاد في الصدور وقد أرفق الله بالإنسانية وكرمها وبعث لها الرسل ليرشدوها ويعالجون أمراضها الاجتماعية فتـشفيها من هذا الداء إلا أن بعض من البشرية يتمرد علـى هـذه التعـاليم المولويـة الفضلى فينحرف إلى الهاوية.



وقال أيضاً في اللام المضمومة مع الحاء:

مَن يعرِف الدنيا يُهُن عنده ... إمراعُها الدَّهرَ وإمحالها[1]
لذّاتُها تُعجبُ أملاكها ... لو لم تُغيّرْ بهمُ حالُها
دارٌ حللناها على رغمنا ... وإنما يُنظرُ ترحالُها
والخودُ كالنخلة مجنيّةٌ ... وزوجُها البائِسُ فُحّالها

ونقف معك ولا نزال نتحدث معك في سهرتنا فنتحاور معك حول ما كتبته في هذه القطعة التعبيرية حيث إنك وصفت الدنيا وزهَّدتَ فيها من كان يعرف غدرها وشرورها ومن يعرف ذلك يتساوى عنده الخصب والجدب، وما يعجب منها الذين أتاح لهم خالقهم التملك وقضاء الوَتَرْ منها واللذَّة فهي لا تدوم وتتنقل بأهلها من حال إلى حال فتنغص عليهم عيشتهم ويشرقون بأحزانها، ثم أخذت تستمر في وصفك للدنيا وأهلها فصورتَ أن أهل الدنيا جاؤوا لها وحلوا بها على رغم أنفهم وهم ينتظرون الرحيل.. والرحيل على رغم أنفهم ليس لهم في المجيء خيارٌ ولا إرادة، وكذلك الرحيل إنما نعلم أن الرحيل هو للخالق الذي أوجد هذا البشر من لا شيء إنما بمشيئته التي تقول للشيء كن فيكون، وضربت مثلاً للدنيا بالزوج والزوجة ومثلتَ أن الزوجة كالنخلة تتدلى بأثمارها وزوجها البائس الفقير هو كالفحّال الذي يلقحها بالنبات الذي يوجد فيه.

---

(١) إمراعها: خصبها. إمحالها: قحطها.

وقال أيضاً في اللام المفتوحة مع الباء وياء الردف:

دع آدماً لا شفاهُ الله من هَبَلٍ ... يبكي على نجلهِ المقتولِ هابيلا
ففي عقابِ الذي أبداهُ من خطأٍ ... ظلنا نُمارسُ من سُقم عقابيلا[1]
ونحنُ من حدَثانٍ نمتري عجباً ... ومَعشرٌ يقفون الغيَّ تسبيلا
همُ الغرابيبُ من إثمٍ وإن أَمنوا ... على سِرارِكَ لم تُعدَم غرابيلا[2]
دهرٌ يكرُ ويومٌ ما يمرُّ بنا ... إلا يزيدُ بهِ المعقولُ تخبيلا

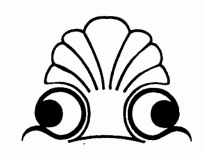
ولا زلنا معك يا شيخ المعري نتحاور معك في هذه السهرة ونتحدث معك في هذه القطعة التعبيرية التي تجاوزت فيها عن الخلق وعن الآداب.

فخاطبت أبا البشرية آدم بخطابٍ غير مؤدب وغير لائق لأنه نبي من الأنبياء الرسل وبعض العلماء المحققين يرونه أنه من أولي العزم فماذا قلتَ؟

أيليق بك أن تهجم بأسلوبك، هذا الهجوم، فتخاطب النبي وأبا البشرية بالدعاء عليه بأن لا يشفى من الهبل وهذا جزاءٌ له لما خلف من البشرية ولا تزال تعاني من بقية الأمراض وهذا جحودٌ من فيلسوف المعري لأبيه الذي أنعم على البشرية بفضل الله وبنعمة الوجود ولولا نعمة الوجود

(١) العقابيل: بقايا المرض.
(٢) الغرابيب: السود. والغرابيل: جمع غربال.

عليك لما عُرِفتَ وما كان لك هذه الدراسات وهذا الاحتفال بك فأصبحتَ تعيش مع الزمن وكان عليك الشكر لخالقك ولأبيك أبي البشرية، ومضيتَ في وصفك لهذه البشرية والدنيا فعممت الآثام والخيانة للبشرية بدون استثناء وهم يغرقون في غرابيب ولا يزيدهم الدهر إلا خبالا.



وقال أيضاً في اللام المفتوحة مع اللام آخر بيتين منها:

هفَتِ الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مُضلّله
اثنانِ أهلُ الأرضِ ذو عقل بلا دينٍ وآخرُ ديّنٌ لا عقل له

ونقف معك لنتحاور في فكرة عقائدية صرحت بها بعد أن راودتك المخاوف انطلقتَ بها مكشوفاً ومزقت الستور وخرجت منها عارياً وصرحت بما يكنه قلبك بعد أن ساورتك المحاذير والمخاوف فقلتَ هفَتِ الحنيفة والنصارى ما اهتدت وإن اليهود حائرة لا تعرف الطريق وجميع الأنام مضللة وقسمتَ الأرض بين صنفين صنف صاحب دين ولكنه لا يحمل عقل فالدين الذي يحمله لا عقل له أي جاهل لأنه لو صاحب العقل لما دان بالدين والقسم الثاني يحمل عقلاً فهو غير متدينٍ بدين ما هذه الأفكار الجنونية من يعتقدها فهو لا عقل له فقد قامت البراهين والسموات والأرض وما في الكون من آيات واختلاف الليل والنهار وفي كل شيء يدل على وحدانية الله وعلى رسله وأنبيائه ومن خرج عن هذا المحيط فأولئك هم الخاسرون ومن تمسك بما انزل الله فاؤلئك هم السعداء ولعل هذه القطعة قد أكثرتَ من العدس فجاءت هذه القطعة من ذلك البخار فوقعت في هاوية مظلمة.

وقال أيضاً في اللام المكسورة مع الفاء:

دعاكم إلى خيرِ الأمورِ محمدٌ وليس العوالي في القنا كالسوافلِ
حداكم على تعظيم من خلق الضحى وشُهبَ الدجى من طالعاتٍ وآفل
وألزمكم ما ليس يُعجزُ حملهُ أخا الضعفِ مِن فرضٍ له ونوافل
وحثَّ على تطهيرِ جسمٍ وملبس وعاقَبَ في قذفِ النساء القوافل
وحرّمَ خمراً خلتُ ألبابَ شربها من الطيش ألبابَ النعامِ الجوافل
يجرّون ثوب الملك جرَّ أوانسٍ لدى البدو أذيال الغواني الرّوافل
فصلى عليه الله ما ذرَّ شارقٌ وما فتَّ مسكاً ذكرُهُ في المحافل

ونفتتح سهرتنا مع الشيخ المعري أيها الفيلسوف وقفةً معنا لتحلو السهرة التحاورية ونديرها على فلسفة صورتها وصغتها في حروف تعبيرية وصفت في هذه القطعة وتجسدت مؤمناً وموحداً بالله لأنه قد قشعَ أضواء القمر هذا الضباب الذي يتضبب في آفاقك وبدأت بقولك: بوصف دعوة الخاتم ﷺ إلى خير الدنيا والآخرة وضربت مثلاً بالعوالي والسوافل ولا يستوي الأعلى والأسفل فإن دعوة الخاتم هي الدعوى العليا التي جمعت السعادتين الدنيا والآخرة.

وضمنتَ دعوة الخاتم إلى التوحيد وهي أساس الرسالات للأنبياء والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل شيء خلق النهار والضحى والنجوم

والليل والقمر وهو خالق كل شيء خالق الكـون ومـا فيـه واسـتمريت فـي وصفك بدعوة الخاتم حيث هذب هذا المجتمع وجاءه بالتوحيد والفروض والنوافل ومن طهارةٍ في الجسم والملبس وهذّب الأخلاق حيث لم يكلـف البشرية إلا بما تستطِيع ونهاها عن قذف المحصنات حتـى تعـيش البـشرية على هذا الكوكب في تماسكٍ وخلق عظيم، وإنَّ هذه الدعوى المباركة قـد حرمت الخمر وهذّبت النفوسَ وحدّت من سورة الطغاة الذين إن تمـسكوا وعملوا بمنهجية هذه الدعوى فهم سعداء.

وقال أيضاً في اللام المكسورة مع الحاء:

اتقِ اللّه واحذر أن يغرّك ناسكٌ	بما هو فيهِ من تغيُّرِ حالهِ
فما أنفسُ الأقوامِ إلا توابعٌ	لقائل زورٍ مُفرِطٍ في مُحاله
فهذا الذي في صومه وصلاته	كذاكَ الذي في حلِّهِ وارتحاله
فكّذب زعيما قال إني ديّنٌ	فما دينهُ إلا ضعيفُ انتحاله
يُماحِلُ في الدنيا الخؤونِ وإنما	يؤمّلُ نَزراً فانياً بمُحالِهِ
ومن يكتحل بالسهد في طلبِ العلا	يجُز أن يرى منهاجها باكتحاله

ونمضي معك في سهرتنا لنتحاور معك في هذه القطعة التعبيرية التي كانت منك مقالة وعظ وتحذير لهذه البشرية حيث تحذر فيها من أن يغر شخص يتظاهر بالنسك وهو يلبس غير هذا اللباس إنما ليخدع أخيه فيقع في مصيدته فلا يستطيع أن يفلت منها، وإن نفوس الأقوام تنخدع فتكون تتبع الذين يتظاهرون وهم يسطرون غير الحقيقة بل يزورون وتمضي فتضرب مثلاً للصائم الذي يتساوى في رأيك من يصوم ويصلي كمن قائم في حله أو ذهب في ارتحاله وهذا معنًى مغلف كمن قال:

خاط لي عمروٌ قباءً	ليتَ عينيه سواء

وأمرتَ بصيغة الأمر أن نكذِّب كل زعيمٍ أنه متديّن لأنّ دينه هو

ضعف من النحلة التي ينتحلها ولا أعرف لماذا هذه الرؤيـة الفلـسفية التـي تفلسفتَ بها هلَ هي من الشَكوك الضبابية أم ماذا؟، وبعد هذه المقولة تعبـر تعبيراً فيه بعض الواقعية فإن الخؤون الذي يحاول أن يحصل على نزر مـن المال، والمال فان ولا يبقى لا هو ولا ربُّ المال، وتـصور الـذي يجـدُّ فـي سبيل المعالي ويكّتحل بالمجد فلربما تحصّل من اكتحالـه علـى دنيـا مـن المجد.



وقال أيضاً في اللام المكسورة مع القاف:

إذا ما عددتُ السّنّ عدتُ بترحةٍ وأمّلتُ ربي أن يُحلّ عقالي[1]
أُسرُّ لدنيايَ التي قد طويتُها وآسي لجُرمي خاطرٍ ومقالِ
فيا أمّ دفرٍ كنتِ لي ميَّ وامقٍ فصار تعادٍ بيننا وتقالي[2]
جعلتِ ثقيل التربِ فوقي وطالما وطِئتُ بأوزارٍ عليك ثقال
وقد صدئت نفسي بجسمي ولبسه فهل تصطفيها ميتَتي بصقالِ

لم تزل السهرة معك يا شيخ المعري وقد تحلو كلما تطول لأن دقائقها وساعاتها تزجّى في دراسة فكرٍ وفلسفة عقلٍ تدور في آفاق ضبابية وقليلاً من الساعات تدور في أفق مقمرٍ واضح ولعل هذه القطعة من الأجواء المقمرة لنتحاور في دراستها فنرى ماذا نخرج من هذا الجو بأي حصيلة ضبابية أم مقمرة. فأنت تصور لك ذكرى تحصي عمرك وتلاحظ مما مرَّ من السنين التي طويتها عدتَ من هذه الرحلة العددية بترحةٍ فتخضع لربك طالباً منه حل عقالك وماذا يفيدك حل العقال إذا لم تقدم لك زاداً إلى دار البقاء فأنتَ بين سرورٍ وترَحٍ.. سرور بهذه الدنيا وترَحٍ بالذنوب التي أثقلت كاهلك وتكدست وراءً خطواتك كما تتكدس أوراق الخريف حول الشجر، وهذا التصوير لو أثر في آفاق نفسك وكان وراءه عملٌ صالحٌ

---

(١) الترح: الحزن والأسى.

(٢) مي: أسم امرأة يشبب بها الشعراء.

فهذه غاية المنى، وصورتَ الدنيا فتاة استعرتَ لها اسم مي فكانت مي وامق فعدتَ برد فعلٍ منها فأصابك هاجس قلًى وبُعـد، وتخاطـب أم دفـر بأنـك سوف تكون فيِ بطنها وعليك أثقال التراب وكنت تسير على دهرها بأثقـال الذنوب، وتساءلتَ عن سأمك من الحياة وإنَّ نفسك قد صدئت مـن طـول لباسها فهل الممات يصفيها ويصقلها كما يُصقل المهنـد هـذه المنيـة التـي تتمناها إن عملت بأوامر خالقك وتجنبـتَ نواهيـه فأنـت قريـبٌ مـن هـذا الصفاء والصقل.



وقال أيضاً في اللام المكسورة مع الزاي وواو الردف:

عرَفتُكِ جيداً يا أمَّ دفرٍ ... وما إن زلتِ ظالمة فزولي
دُعيتَ أبا العلاءِ وذاك مينٌ ... ولكنَّ الصحيحَ أبو النزولِ
أغيَّ الطّفلِ من بعد التناهي ... وضُعفَ السقبِ في حال البزول[1]

لم نزل نواصل سهرتنا مع الشيخ المعري ونتحاور معه في فلسفته وندرس معه أفكاره الفلسفية التي ضمنها شعره فنقف معه في هذه القطعة التعبيرية التي صور فيها حياته وهو يخاطب الدنيا ويسميها أم دفر فإنه يخبر عنها بعد خُبرٍ ومعرفة عرفها جيداً وانها ظالمة لبني الإنسان فيطلب منها أن تزول وهل هذا الطلب منه للزوال عن حياته أم زوال الدنيا وهذا طلبٌ لا أظنه يصدر من فيلسوف درس الحياة ولعله يريد بإزالة حياته ليصبح في دنيا الآخرة، ويرى أن النّاس ينادونه بأبي العلاء وحقه أن ينادى بأبي النزول لأنه ليس أبا العلاء، ويعلل نزوله لأنه يعيش في غيّ الطفل وضعف السقب والبزال التي تشقق ولهذا لا تصدق عليه كلمة أبي العلاء.

---

(١) السقب: ولد الناقة ساعة يولد.

وقال أيضاً في اللام المكسورة مع الحاء:

إذا ما جُدَّ كلبٌ وهو أعمى   تصيّد ربّةَ الطرفِ الكحيل[1]

متى تقفِ الركابَ عليَّ جهلاً   فأنتَ كواقف الرَّبع المحيل

تعودُ عليَّ كرّاتُ الليالي   وما أبرمتهُ مثلَ السحيل[2]

تحفّوا بالكلامِ وأكرموني   على ما كان من جسدٍ نحيل

دَعُوا هذا المقالَ وجهزوني   فإني قد عزمتُ على الرحيل

أيها الفيلسوف نحب أن نفتتح معك سهرتنا هذه الليلة للمناجاة والتحاور في صور من شعرك رسمتها على جدار الزمن وفي صفحات التاريخ فنبدأ هذه السهرة بهذه القصيدة التعبيرية التي صغتها في حروف تصور تبرمك وزهدك في الحياة وتمر بتصوير لحياة البشرية حيث تشير إلى أن السر في الحياة هو الحظ فإذا تلبس في شخص مهما كان ذلك الشخص جاءته الحياة كخاتم في يده ولو كان ذلك الشخص كلباً أعمى لا يبصر يحظى بأجمل فتاة كحيلة العين وإذا ولى عنه الحظ ولو كان من أجمل الخلق حُرِمَ من هذه النعم هكذا رؤيتك التصويرية لذوي الحظوظ، وتصور نفسك لستَ أهلاً إلى أن تقف الركاب ببابك ويستفيدون من علمك ما يفيدهم إنما أنتَ في رؤياك كربع خالٍ لا ينتفع به نازلوه وهذا تواضع تشكر عليه، وإن كرات الليالِ التي تدور عليك تضعفك كالثوب الذي لم

(١) جد: من الجد وهو الحظ.

(٢) السحيل: الثوب الذي لا يبرم غزله.

يبرم غزله فهو لا يتحمل شيئاً فضلاً عن الخطوب التي تهد الرواسي، وترى نفسك أن شريحة من البشر ولعلها من طلابك قد أكرمتك واحتفت بك وما أنتَ إلا جسدٌ نحيفٌ فلو عدتَ إلى الحياة مرة ثانية لشاهدتَ ورأيت كيف احتفيا بك فأنت تملأ الصحف والسيَر وقد أقيمت لك ذكرى بعد مرور ألف عام بعد رحيلك من هذه الحياة تسابق فيها المفكرون من الكتاب والشعراء يصفون حياتك وأفكارك وأصبحتَ تشارك الأحياء في حياتهم ولعلك أقوى من كثيرٍ من الأحياء فلماذا تتبرم وقد أفرغت عليك هذه النعم فأنتَ من ذوي الحظوظ الذين ندروا في هذه الحياة، وتختم هذه القطعة التعبيرية بزهدك في هذه الحياة ورغبتك في مفارقتها وطلبك بدل هذا التكريم أو هذا المدح أن يجهزوك إلى الرحيل الأخير وهذا لا تملكه أنتَ ولا غيرك.

وقال أيضاً في اللام المكسورة مع القاف:

هــيَ غربتـانِ فغُربـةٌ مـن عاقـلٍ ثـمَّ اغـترابٌ مـن مُحكّـمِ عقلـه
والطبعُ يثبُتُ كالهضابِ ومن يرُم نقـلاً لـه يعـجز ويعـيَ بنقلـه
والـحقُّ يُثقِـلُ كـلَّ غـاوٍ ظالـمٍ وأخـو الديانـة مـا يُحِـس بثقلـه

فقد حلَتْ معك السهرة يا شيخ المعري فنتحدث معك في هذه القطعة التعبيرية التي تتلألأ فيها الكواكب في جوٍّ صاف لم تتراكم فيه ضباب الشكوك فالإيمان يرفرف فيها بأجنحة بيضاء فبدأتَها بفلسفة عميقة وصورت للعقل غربتان تتولد من عقلٍ وغربة أخرى من عقل يحكِّم آراءه في هذه الحياة، وهذه الفلسفة لعلك تشير بها إلى فلسفة بعيدة وهي ما يراه الفلاسفة أن للشخص عقلين عقلاً بسيطاً وعقلاً مرّكباً ثم تشير إلى الطبع المتأصل في الإنسان فإن هذا الطبع في فسلفتك لا يزول كما أن الرواسي لا تُنقل ويعجز الشخص عن نقلها كما يعجز الطبع عن مفارقة صاحبه وقد كذَّبَ هذه الفلسفة ما جدَّ في القرن العشرين ففي اختراعاته الفنية الجديدة تذلل الصعاب وتزيل الرواسي إلى طرق معبدة، وتختم هذه القطعة بنظرية رائعة لأنَّ أصحاب الغواية أثقل شيء عليهم هو الدين لأنهم في ضلالهم يعمهون، أما أصحاب الديانة فالدين أنوارٌ تضيءُ لهم دنياهم وآخرتهم فهم يستأنسون به ويرونه كالماء الكوثر أو أعذب منه إن كان هناك أعذب منه وصدقت في هذه المقولة.

وقال أيضاً في الميم المفتوحة مع الكاف:

قالَ المنجمُ والطبيبُ كلاهما ... لا تحشرُ الأجسادُ قلتُ إليكما
إن صحَّ قولكما فلست بخاسرٍ ... أو صحَّ قولي فالخسارُ عليكما
طهّرت ثوبي للصلاة وقبلهُ ... طهرٌ فأين الطهرُ من جسديكما
وذكرتُ ربي في الضمائر مؤنساً ... خلدي بذاك فأوحشا خلديكما[1]
وبكرتُ في البردينِ ابغي رحمةً ... منهُ ولا ترعانِ في برديكما[2]
إن لم تعد بيدي منافعُ بالذي ... آتي فهل من عائدٍ بيديكما
بردُ التقي وإن تهلهل نسجهُ ... خيرٌ بعلمِ اللهِ من برديكما[3]

ولا نزال نعيش في سهرتنا وقد حلت لنا السهرة وطاب لنا الحديث فيها فنتحدث معك عن هذه القصيدة التعبيرية التي ترد بها عن المنجم والطبيب في فلسفة طال فيها البحث والجدال هل يحشر الروح مع الجسد أم تحشر الأرواح بلا أجساد وقبل أن نلج في هذه الفلسفة وشرحها لابد لنا من إشارة أن القدرة التي خلقت هذا الإنسان بهذا الهيكل الذي هو في قوامٍ بديعٍ وجمالٍ مغرٍ فقدرته التي خلقته من لا شيء ستعيده كما هو. هذه عقيدتنا وقد نصَّ عليه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

---

(١) الخلد: محركة: النفس.

(٢) البردان: الغداة والعشي.

(٣) تهلهل: بلي واهترأ من خفة نسجه.

خلفه حيث يشير لأصحاب النار كلما نضجت جلودهم بدلناها بجلود غيرها، وهذا نصٌ صريح من الخالق المنشئ لهذا الإنسان أن يعيده بجسمه وهيكله نص واضح وصريح لا جدال فيه ولا مراء فأنت يا شيخ المعري ترد على المنجم والطبيب حيث يقولا لا تحشر الأجساد وأنت في هذا الرد مؤمناً بالعقيدة، وفي خطابك لهما ضربت مثلاً ملموساً حيث خاطبتهما إن كان قولهما صحيحاً فأنت لست بخاسر، وإن كان قولك هو الصحيح فهما الخاسران وأنت الرابح وهذا غاية الأدب في التحاور، وتمضي في رحلتك التي تتمتع فيها بصفاء في جو متلألئ فتشير إلى الطهارة عندما يقوم المرء ليناجي ربه في تلك المكتوبة الصلاة التي تطهر الإنسان من دنس الشكوك فتخاطبهما أين أنتما من هذا الطهر ولا شك أن الصلاة في اليوم خمس مرات هي طهر لا يعادلها طهر فهي كالحمّام تغسل الدرن كما عبّر النبي الخاتم ﷺ، وتمضي في مسيرتك الصافية حيث إنك تمضي في ذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ فذكر الله هو المؤنس في الوحشة وفي كل شيء أما الذين لا يذكرون الله فهم في وحشة مظلمة خرساء، وإنك يا شيخ المعري هنا تريد أن تغطيك رحمة الله ولم تطلب من عبيده الرحمة فرحمة الله واسعة وسعت كل شيء اللهم اسبغ علينا رحمتك وعفوك، وتختم هذه القطعة بخاتمةٍ زخمة حيث إن برد التقي مهما كان من ضعف فهو قويٌّ بخلاف برد غير التقي وأنا أخاطبك يا شيخ المعري أن برد التقي لن يكون يوماً ما متهلهل فتعبيرك هنا بالتهلهل غير سليم إنما التهلهل يكون لبرد غير التقي.

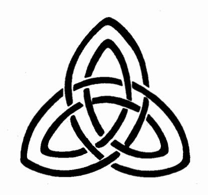
وقال أيضاً في الميم المكسورة مع اللام وألف الردف:

إذا بلغ الإنسان خمسين حجة — فلا يمتهن ديناً ببردٍ سلامِ
ليشغل بذكرِ الله عن كل شاغل — فذلك عند اللبِّ خير كلامِ
ومن شيمِ الأيام وهي كثيرةٌ — فناءُ كبيرٍ واقتبال غلام
ملامٌ لنفسي حقٌ عندي لمثلها — وكنتُ حقيقاً عندها بملام
واظلام عين بعده ظلمة الثرَى — فقلْ في ظلامٍ زيد فوق ظلام

ونفتتح السهرة مع الشيخ المعري لنتحدث معه ونخاطبه في تخاطب تحاوريٍّ ونقف معه في هذا الحرف التعبيري الذي تجلى فيه الشيخ المعري في جوٍّ صافٍ لم تبطنه الغيوم ولم تضببه الشكوك فهو يعيش في أفقٍ ضاحك النجوم باسم القمر.

فقد بدأت أيها الشيخ حرفك التعبيري تصور فيه ما يجب على المرء حينما يذرِّف على خمسين عاماً ماذا يجب عليه يجب عليه أن يحترم الدين ولا يهينه بحيلة يغلفها بالسلام، وعليه أن يشغل قلبه وجوارحه بذكر الله ولا يشغله شاغلٌ فهذا ذو العقل وعللتَ ذلك لأن الحياة يودعها كبيرٌ ويأتي لها غلامٌ فهي لا تدوم فعليه أن يغتنم فرصة وجوده على صعيدها، وتستمر أيها الشيخ في هذا الحرف في لومك لنفسك ولومها لك ونتمنى أن لا تكون نفسك من النفس اللوامة التي تلوم ولا تجني من الغصون ورداً.

وتختم هذا الحرف بخاتمة فيها زخم ورِقَّة وأسى، ولعل فيها موعظةً فظلمة العين أي عدم الإبصار سيتبعها ظلام القبر فحسب رؤياك ظلام فوق ظلام، ولكنك يا شيخ المعري إذا وضعت في القبر لا تخف إلا من ظلام العمل الذي يجانب الطاعة ويسير في دنيا المعاصي فهنا الظلام الرهيب.



وقال أيضاً في الميم الساكنة مع الهاء:

إذا دارت الكأسُ في دارهم فقد رحلَ الدّين عن دارهمْ
فما وفّقوا عند إيرادهم ولا وفقوا عندَ إصدارهمْ
وفي رفع أصواتهم بالغناء دليلٌ على حطّ أقدارهمْ
فإن كنت خدناً فاحبهم جفاء على قرب مزدارِهم(١)

وتحلو لنا السهرة معك يا شيخ المعري فنتحاور معك في مقولة صورتَ في حرفها موعظة للإنسان وكانت هذه الموعظة تدل على جوٍّ مر على أفق نفسك خالياً من ضباب الشكوك في تلك اللحظة، فصورتَ كيف عندما تدار الخمر في محفلٍ يحتفلون فيه بكأس الخمر فإن هؤلاء لم يكونوا أصحاب دين ولو كانوا متمسكين بالدين لما كان ذلك المجتمع تدار عليه كأس الخمر، فهم غير موفقين لا عند الورود أي عند ديارتهم لشرب الكأس ولا بعد انتهائهم من ذلك المجتمع وهو الصدور وإن غنوا فأطربهم الغناء عندما تدار الكأس عليهم فهؤلاء لم يكونوا كراماً أينما كانوا فهم منحطين القدر لا كرامة لهم، ويحذر شيخ المعري من كان رفيقاً لهذه الزمرة الفاسدة بالجفاء أي البعد عنهم وعدم زيارتهم.

---

(١) مزدارهم: أي مكان زيارتهم.

وقال أيضاً في النون المضمومة مع الصاد وواو الردف:

إذا عُدّت الأوطانُ في كلّ بلدة لقومٍ سجوناً فالقبور حصونُ
وما كان هذا العيشُ إلاّ إذالةً فعلّ تراباً بالحمامِ يصونُ[1]
فكن بعض أشجار تقضّت أصولها ولم يبقَ في الدنيا لهنّ غصونُ

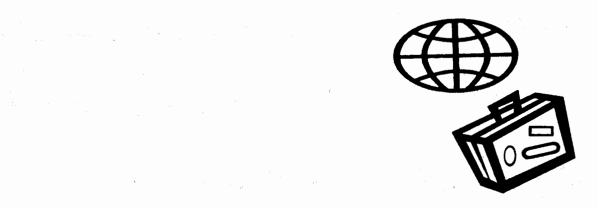
نقف معك يا شيخ المعري في هذه القطعة التي صورت فيها إيمانك بالموت وما فيه من راحةٍ فصورت أن الأوطان هي سجونٌ للمرء وإنّ القبور هي الحصون له من تلكٍ السجون، وهذه الرؤية للمطيعين فإنّ الأخرى هي خير لهم من هذه الدنيا الفانية.

ووصفت أنّ العيش في هذي الحياة هي إهانةٌ للمرء والتراب هو صيانةٌ عن الإهانة ولا شك أن التراب هو صيانة وحكمة جاءت من الإله لهذه البشرية حتى قيل طوبى لمن سكنَ التراب وأمِن العقاب.

وختمت حرفك برؤيتك التي تكررها في صور متلونة وفي حروفٍ طالما ركزتَ عليها وهي عدم النسل حيث صورتَ طَلبك من المرء أنَ يكون كشجرة لا تخلف لها أغصاناً بعد موتها وهذه الرؤية رؤيةٌ مظلمة ولو أُخذَت لما رأيت على هذا الكوكب تزاحم من البشرية بل رأيت البشريةَ تفنى وتنقرض من هذا الكوكب ولكن حكمة الله التي تنظم الكون أبقت هذا التناسل والتكاثر باختبار البشرية وأن لا تنقرض هذه الحياة ولو

(١) الإذالة: الإهانة.

شاء الله لما ترك عليها من دابة فمشيئته ولطفه الخفي هو الذي خلق للإنسان زوجاً من نفسه ليتمتع بهذه الورود ويشم هذا التفاح ويتناسل ويبقى له الذكر.. الذكر الجميل أو الذكر القبيح وهذه النعم تفضلاً من المولى الكريم.



وقال أيضاً في النون المضمومة مع الدال وياء الردف:

توهّمتَ يا مغرورُ أنك ديّنٌ ... عليَّ يمين الله ما لكَ دينُ

تسيرُ إلى البيت الحرام تنسُّكاً ... ويشكوكَ جارٌ بائسٌ وخدينُ

ونقف معك يا شيخ المعري لنحاورك في حرف تعبيري صورت فيه ما يَرينُ على قلبك من لياليك المظلمة، ومن لياليك الشكوكية التي كثر تضبيبها في أفقك، فنلج إلى هذا الجو الصافي لنراك كيف تعظ الإنسان وما فيه من أوهام تستفزه إلى مرتبة الغرور حتى يتوهم أنه متمسك بالدين وأنت تقسم حسب تجاربك ومشاهدتك لهذا الشخص أنه غير متدين ودليلك أنه يذهب إلى حج بيت الله تنسكاً منه ولكنّ جاره يشكوه وصديقه يشكو منه فهو يؤذي جاره ويظلم صديقه ويتنسك في الظاهر بالدين والحج هذا حسب رؤيتك يا شيخ المعري وخبرتك، ولكنما نعلق على هذه الرؤية بأنَّ للإنسان ما يعمله من خيرٍ فهو له، وما يعمله من شرٍ فهو عليه، فله ما كسب وعليه ما اكتسب.

وقال أيضاً في النون الساكنة مع الزاي والميم وياء الردف:

مضى زماني وتقضى المدى ... فليتني وفّقتُ في ذا الزُّمينْ

أرزمتِ الناب وعارضتُها ... فليعجب السامع للمُرزِمين[1]

أمطرنا اللهُ بإحسانه ... لا أنسبُ الغيث إلى المرزمين[2]

أَعُدُّ أسنى الربح فعلَ التقى ... فلا أكنْ ربٌّ من الخاسرين

نبدأ سهرتنا معك أيها الفيلسوف شيخ المعري فَنُزجي وقتنا في محاورة فكرية من أفكارك الفلسفية ونبدأ السهرة بهذه القصيدة التعبيرية التي ظهرت فيها على مسرح الحياة كإنسانٍ يعطف على بني جلدته وبدأتها بحسرةٍ على ما تقضى من زمانك وهذه أصالة في البشر فدائماً الإنسان يحن لماضيه ويبكي على أيامه التي تفرُّ منه كفرار حلمٍ من جفن نائم ولا خيار له ولا أمر، فالساعات تنتهي والأيام تنقضي والعمر محدود إلى أجلٍ مسمى وليس للإنسان في ذلك خيار ولا أمر ولا نهي وكل شيء بيد الخالق الذي خلق الإنسان والسموات والأرض وقلت مضى زماني وتقضى المدى وتتمنى أنك لو وفقت في زمين وهذا تصغير للزمان وفيه معنًى من أمنياتك التي تتمناها ولعله التوفيق، ولو بمقدار هذا الزمين المصغر، وتشير إلى عدم التوفيق أنّ الناقة التي تريد أن تمتطيها تصوت وماذا تقصد بالتصويت هل هذا الصوت هو دليلٌ على عدم توفيقك أو إزعاجٌ لسيرك فهذا معنًى لا

(١) الناب: الناقة المسنة. وأرزمت: صوتت.

(٢) المرزمان: النجمان.

يزال مغلقاً في قصدك وتطلب من مخاطبك أن يعجب للمصوتين ولعلهم يزعجونك عندما تؤلف سيمفونية من الأصوات تارةً تكون منفرة وتارةً تكون ملحنة الأوتار شيقة الوقع، وتخلص بدعوة إلى خالقك فاطر السموات والأرض بإن يفيض عليك من ألطافه وإحسانه، وهذا هو مَنٌّ منه وحده لا شريك له، ولا دخل فيه للنجوم كما يرى المنجمون وتتمنى أنّ دموعك تكون ينبوعاً صافياً ليشرب منها الحجيج كما يشربون من عين زمزم وهذه مساواة إنسانية تشبه قولك إنك لو حبيتَ الخلد فرداً لما أحببتَ بالخلد انفرادا .



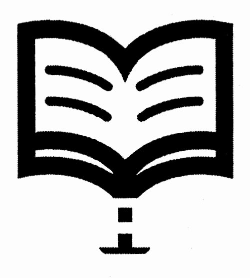
وقال أيضاً في الهاء المفتوحة مع العين وياء الردف:

حسبي من الجهل علمي أن آخرتي هي المآل وأني لا أراعيها
وأنّ دنيايَ دارٌ لا قرار بها وما أزال معنّىً في مساعيها
كذلكَ النفسُ ما زالت معلّقةً بباطل العيشِ حتى قام ناعيها
يا أمة من سفاهٍ لا حلوم لها ما أنتِ إلاّ كضأن غابَ راعيها
تُدعى لخيرٍ فلا تصغي له أُذناً فما يُنادي لغير الشرّ داعيها

ونستمر معك يا شيخ المعري في سهرتنا الحبيبة فقد حليت وطابت ونتحاور معك في هذا الحرف التعبيري الذي صورت فيه حقيقةً أهملها هذا الإنسان ولا يحسب لها حساب، وجسدتَ حياة الإنسان وما فيها من غرور وجهل ونسيانٍ لما فيها صالحه ونسيَ أن مصيره من هذه الحياة إلى الحياة الباقية.. حياة النعيم والخلود.

فإذا كنا نحب أنفسنا حباً حقيقياً نعطيها حقها ونرعاها حتى نحوز بالسعادتين الدنيا والآخرة، ولكنَّ الجهل المركب الذي يغوينا به الشيطان حتى نشاركه في أعماله القبيحة، مع علم الإنسان بأن هذه الدنيا ليست بدار قرار وهي سلسلة من العناء والتعب والجهد والأمراض ولكنّه يحفل بها ويعطيها كل ما عنده من قوةٍ وطاقة، وتستمر هذه النفس بالتعلات لتعيش بهذه التعلة عيشة الباطل حتى تفاجأ بالموت الذي لا بد منه فتستيقظ على

أعمالها الباطلة فلا يفيدها تلك الصحوة وتمثل هذه الأمة تعـيش فـي سـفهٍ ولا عقل لها فهي كغنم غاب عنها راعيها وعرضـها للـشتات والـضياع ولـو رجعت لطريق الهدى لأفلحت وظفرت، وإنَّ هـذه الأمـة تـصم أذنهـا عـن داعي الخير وتفتحهما لداعي الشر.



وقال أيضاً في الهاء المفتوحة واللازم ثلاثة أحرف:

لو أنّ كلّ نفوس الناس رائية كرأي نفسي تناءت عن خزاياها
وعطّلوا هذه الدُّنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

ونستمر معك يا شيخ المعري في هذا الحديث الشيق ونقف معك في رؤيتك التي صورتَ فيها روحاً مثاليّة تقمصتها فعبّرتَ فيها لو أن كل نفوس الناس سارت على ضوء رؤيتك لما فعلت مخزية من المخازي وهذه الرؤية لو تحققت على صعيد الواقع لكانت مثاليَّةً واستراح الإنسان من ظلم أخيهِ الإنسان، وهنا ندينك من فمك في تصويرك البيت الثاني حيث اعترفتَ أنهم لو وقفوا عند رؤيتك الأولى لكان خير لهم لكنك مضيتَ في تعبيرك فصورتَ أنّ الدنيا أصبحت عاطلة وأنهم لا يتناسلون فإذا لم يتناسلوا لم يصابوا بالبلايا والخطوب وهذه الرؤية الثانية التي تتكرر في صورك الشعرية في هذه المعزوفة التي تحارب التناسل وما هي إلا فكرة مظلمة وقد أودع الله هذه الفطرة في نفوس الإنسانية لتتناسل وتتكاثر فوق هذا الكوكب لتذكر الله كثيراً وقد جاءت الشريعة السمحاء للحثٍّ على الزواج والتناسل والتكاثر حتى يباهي بهذه الأمة نبي الرحمة يوم القيامة ولا أعرف كيف تولدت وتأصلت في آفاق نفسك فكرة عدم التناسل والتوالد وألححت على هذه الرؤية ظناً منك لإقناع بني الإنسان في الأخذ بهذه الفكرة وأنت خاطىء كل الخطأ لأن الغريزة الجنسية التي يتمتع بها البشر والتي أُحرِمتها فأردت من الإنسان مساواتك فهيهات لن تظفر بذلك.

وقال أيضاً في الهاء المكسورة مع اللام وألف الردف:

لا تحلفنّ على صدق ولا كذبٍ فإنْ أبيت فعدّ الحلفَ بالله
فقد أشرت إلى معنى لهُ نبأ وافى العقول بإعجازٍ وإيلاهِ[1]
يخافُ كلٌّ رشيد من عقوبته وإن تلفع ثوبَ الغافلِ اللاهي

وقفة معك يا شيخ المعري في هذه القطعة التعبيرية التي تطلب فيها وتنهى الشخص عنِ الإيمان سواء كان صادقاً أو كاذباً وإذا أبى ولم يستجب لك فليحلف بالله وهل القسم عندنا في الإسلام إلا بالله إذ لا يجوز القسم بغير الله، وأما إشارتك إلى معنًى من نبأٍ حيّرَ العقول واعجزها فلعلك تشير إلى معنًى هو تكرير الإيمان بغير حاجة لها هذا ما تصيدناه من معنى بيتك أما إن كنتَ ترى معنًى غير هذا فلستٌ أعرفه وختمت هذا الحرف بأن الشخص عندما يقسم يخاف نتيجة عقوبة إيمانه وإن كان يوهم نفسه أنه في غفلة ولهوٍ.

---

(١) الإيلاه: التحيير.

وقال أيضاً في الهاء المكسورة مع اللام:

وجدت غنائم الإسلام نهباً ... لأصحاب المعازفِ والملاهي
وكيف يصحُّ اجماع البرايا ... وهم لا يجمعونَ على الالهِ
تنازِعني إلى الشّهواتِ نفْسي ... فلا أنا منجحٌ أبداً ولاهي

ونعود معك يا شيخ المعري في هذه السهرة لنتحدث معك في قطعة غامَ فيها الليل وتلبّد في جوها شكوك الضباب وران على قلب صاحبِها ظلام دامس حيث قلت إن غنائم الإسلام هي نهبٌ لأصحاب المعازف والملاهي كما وجدتها حسب رؤياك، ثم ضربتَ مثلاً أن البرايا لم يجمعوا على توحيد خالقهم فكيف يصح لهم الإجماع على نهبهم غنائم الإسلام، وهذه الرؤية تنبع من فكرةٍ عائمة فهي تشبه:

خاطَ لي عمروٌ قباءً ... ليت عينيه سواءَ

ومضيتَ تصور نفسك كيف تنازعك إلى ارتكاب الشهوات فلم تنجح أنتَ ولا نفسك، ولم تنجح أنتَ ولو نجحت نفسك لنجحت لأنكما واحدٌ، فالنفس هي في الجسم ولو وحّدت الله لنجحت وفزت، ونكتفي معك بإيضاح هذه الحقيقة.

وقال أيضاً في الهاء المكسورة مع اللام ألف المشددة:

بخيـــفةِ الله تعبدتـــنا وأنتَ عينُ الظالم اللاّهي

تأمرُنا بالزهد في هذه الـ ـدنيا ومـا همـكَ إلاّ هـي

لازلنا مستمرين معك يا شيخ المعري في هـذه الـسهرة وفـي هـذا الحديث لنتحاور معك في هذا الحرف الذي انبثقت منه رؤية خطابك إلـى شخصٍ تخاطبه أنتَ وصورته أنه ملك النـاس بتظـاهره أنـه يعبـد الواحـد القهارِ ويخافه وبهذا التظاهر استعبدَ البشرية ولكنه ظالمٌ لاهي عن ذكـر الله، وإنه يأمر الناس بالزهد في هذه الدنيا ولكنه لا يزهـد، ولا يهمـه إلا نفـسه، فهو يجمع من حطام الدنيا غير مفرِّق بـين حلالهـا وحرامهـا، فهـو صـورة متناقضة في رؤيتك التي صورتها.

الخاتمة

إنني أختم هذا الحرف الدراسي والتحليلي لحياة الفيلسوف الشيخ المعري بما توصلتُ له من دراسة وتعامل مع نصوصه الشعرية التي احتواها ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) فكنا مع هذه النصوص في دراسة تحليلية قد جلونا من صورها حسب ما وصل إليه فهمنا، وإذا أخطأنًا أو قصرنا فالإنسان ناقص ولكنَّ عليه أن يواصل الحياة الكمالية شوطاً في ميدانها مهما استطاع من المنح العقلية التي أفاضها الله عليه منَّةً وتفضلاً منه وعلَّمه أفضل نعمة بعد العقل وهي نعمة القلم ولولا القلم لضاع التاريخ وماتت الحياة وهي مخضوضرة قبل موتها فالقلم من نعمة الله الكبرى التي أفاضها على هذه الإنسانية و﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ولا يزال ناقصاً حتى قيل إنني عرفت من العلم أنني لا أعلم شيء والعلم هو حلية الإنسان إذا توجته الأخلاق والفضل ومدَّته المزايا الحسنة واكتنفته دنيا من الإرشاد ومدَّته ألوان من الإستقامة والإنضباط في هذه الحياة فهنا يكون الفرد حقاً إنساناً واقعياً إذا عُدَّتْ ما عيبهُ فكفى المرءُ نبلاً أن تُعدُّ ما عيبه.

وختاماً إن كنت قاسيت عليك يا شيخ المعري وقابلتك بكلمات خشنة فكنت أنت الباعث لهذه الكلمات وهذا الموقف القاسي الذي تعاملت به معك لخروجك عن محيط الحق إلى أفق ليل شكوكٍ مبطنةٍ

بضبابٍ فوقه ضباب إذا أخرجت يدك لم تكد تراها كما وصف كتاب الله حين قال:

﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾.

وختاما أعتذر للقراء إن كنت قصرت في هذه الدراسة ولعلها تختلف عن الدراسات التي سبقت هذه الدراسة، وأشملها دراسة الدكتور طه حسين التي سبقت هذه الدراسة.

وأرجو من الله السداد والتوفيق وأن يلهمني شكره على هذه النعم التي منَّ بها عليَّ.

* * *

السِّيرة الذَّاتيَّة للمؤلِّف

الاسم

محمَّد سعيد ابن الشَّيخ عَلِيٍّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيّ

تاريخ الميلاد

١٩٢٥/٢/٢م.

العنوان

المملكة العربية السُّعودية

المنطقة الشَّرقية – القطيف

الرمز البريدي: ٣١٩١١

ص. ب: ٨٧٩

تليفون – فاكس: ٨٥٥١٠١٣

« محمَّد سعيد ابن الشَّيخ عَلِيٍّ أبي الحسن الْخُنيزيّ»

موجز السِّيرة الذَّاتيَّة

ولدتُ فِيْ اليوم والشهر مِنْ العام الَّذي حددتُ تاريخه بالميلادي، فِـيْ الصفحة الأُولَى من هذه السِّيرة، ودرجتُ على هذا الكوكـب تحـت رعايـة والدي الشَّيخ علي أبي الحسن الخنيزي.. الَّذي كان مرجعاً وقاضـياً لجميـع المذاهب مِنْ سنة وشيعة.. ويرضون بحكمه، أُصبتُ فِيْ السادسة مِنْ عمري تقريباً بأثمـنِ كنز فِيْ حيـاتي، وهـيَ عينـي، الَّتـي تعكـسُ طبيعـة الحيـاة، ومناظرها الجميلةِ، وعندما بلغت السابعة مِنْ عمري، أدخلني أبي الكُتَّـاب.. لأنَّ ذلك الظَّرف لا توجد فيه مدارس على منهجية المدارس الحديثة اليوم، وكان هذا الكُتَّاب قمَّة الكتاتيب فِيْ ذلك العصر، ويديرانـهُ ويتعاقبـان عليـه الأخوان فضيلتا الشَّيخ / محمد صالح البريكي صباحاً، وأخوه الـشَّيخ ميـرزا مساءً، وهذا الكُتَّاب يُعلِّم كتاب الله، ونمطاً مِـنْ الخـطِّ، وضـرباً مِـنْ أنـواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضربَ والقـسمة، الَّـذي هُـوَ بعــض دروس الرياضيـات اليـوم، كمـا يعطـي لوناً مِنْ الشِّعْرِ العربــي، ويـشـرح بعـض كلماتـه، ويطلـــب مِـنْ الطُّـلاب حفـظ ذلـك الـشِّعْرِ، وللكُتَّـاب أسلـوب ومنهجيـة فِيْ دفـعِ الأجورِ، وأيَّام الـتَّعليم طيلة الأسبوعِ، والإجازة يومي الخميس والجمعة، ولا تتخلَّل الدِّراسة فسحات يرتاح فيهـا الطُّـلاب مِنْ جهدِ الدِّراسة، وقَدْ خرجت مِنْ هذا الكُتَّـاب بعـد أنْ اجتـزت مراحلـه

التَّعليميَّة، وتعليمي كان غيبياً عَنْ طريق الحفظ القلبي.. لا البصري، خرجت مِنْهُ وأنَا ابلغ الثَّالثة عشرة، وبعد فترة هيأني والدي للدِّراسة، لأتخصص فِيْ العلوم الدِّينية، فدرست قواعد اللُّغة العربية، ومِنْ كتبها متن الأجرومية وشرحه لدحلان، وقطر الندى لابن هشام، وألَفية ابن مالك، والمغني لابن هشام، كما قرأت بعض الكتب العقلانية والفلسفية، كالحاشية في المنطق، والشَّمسية في المنطق، وقرأت كتب البلاغة، كالمطول ومختصره، وهو يبحث في أسرار البلاغة، ويوضّح لك سرّ البلاغة والنكت الَّتي تحتوي عليها، كما قرأت شريحة من كتب الفقه، وكتباً من أصول الفقه، وفوجئت وأنا في ربيع الدِّراسة، وقبل اليفاعة بموت والدي فكان لموته انحسار، كانحسار الرَّبيع عَنْ الورد، فأصبحت كالحقل الَّذي جفَّ ماؤه، وبرغم ما عانيته من الثالوث غير المقدس « الفقر - وإصابتي بالعين - وفقد أبي» واصلت دراستي العلمية، وكنت أقتل أوقاتي فيْ الدروس، كما أنني أدرس ثلَّة مِنْ الطلاب، سنشير لهم في الصَّفحة المخصَّصة لهم، وإنَّني إذ أختصر هذه الأحرف، فقَدْ وضعت سيرتي الذاتية في كتاب، يتكوّن من مجلدين أسميته « خيوط من الشَّمس» يحتوي هذه الحياة البسيطة، وما عانيت مِنْ حلوٍ ومرٍّ، ومررت فيه بقنوات تاريخية تمر بحياتي الذَّاتية، أو ما يتصل بقنواتٍ تاريخية لها ارتباط من قريب أو بعيد بهذه السِّيرة.

أمَّا الوظائف:

فلم ألتحق بوظيفة من الوظائف، إنَّما امتهنت عملاً حرّاً غير مرتبط بدائرة، أو مؤسسة، وهو المحاماة، وهيَ المرافعة فِيْ القضايا، الَّتي تنظر فيها المحاكم الشَّرعية.

أبرز المواقف

لقَدْ مررتُ في هذه الحياة بمواقف مؤلمة، ومفرحة، ولكن في رأيي أخطر موقف مررت به.. واتخذت فيه قراراً حاسماً، بعد أنْ مرَّت عاصفات من التردد بأفق نفسي، وحيرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكني في النهاية أصدرت قراري النهائي، وتركت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل « المحاماة» مِنْ أجل الكسب على عيالي، لكي لا أعيش عالة على المجتمع.

الأساتذة

الأساتذة الَّذين تتلمذت عليهم، هم: والدي الإمام الشَّيخ / علي أبو الحسن الخنيزي، والعلاَّمتان الشَّيخ / عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي، والشَّيخ / فرج العمران، والعلاَّمة الشَّيخ / محمَّد صالح المبارك، والشَّيخ / محمَّد صالح البريكي، وهؤلاء العلماء كلهم من أهالي القطيف، ولكن أستاذي الَّذي أعتبره كالجامعة من النقطة الأولى إلى المرحلة العليا، هُوَ والدي.. فهو لي كجامعة من المعارف.

أبرز التلاميذ

إنَّ التلاميذ الَّذين درسوا على يدي كُثْر، لعلَّهم يصلون إلى خمسين طالباً، أو يزيدون.. غير أنَّ مِنْ أنجحهم وأبرزهم فضيلة الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الله الشَّيخ علي الخنيزي، حيث أسهم فِيْ الحياة الفكرية بثروة ثرة، في حرف في كتب متعددة الألوان.. خدم بها اللُّغة العربية والفكر، والشَّيخ عباس المحروس حيث أصبح خطيباً، وعبد الغني أحمد السنان، حيث أصبح أحد الشَّخصيات البارزة في شركة أرامكو السُّعودية، ومحمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، أصبح شخصية من الشَّخصيات الوطنية بالقطيف، ومهنا الحاج حسن الشماسي، ومحمَّد رضا نصر الله، حيث أصبح صحفياً غير محدود، وفؤاد عبد الواحد علي نصر الله، حيث صار صحفياً، ومحمَّد وحسن أبناء الشَّيخ فرج العمران، وجاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسن آل خضر، وجمال عبد اللطيف وحسن أحمد الطويل، وهناك طلاب آخرون إنَّما لا تسع هذه الصَّفحة لذكرهم.

السيرة العلمية

إنَّ سيرتـي العملية: كانت تنبثق عَنْ عملٍ حرٍّ – وهـيَ المحامـاة – فإنَّنـي لَمْ ألتحق بوظيفة في القطاع الخاص.. أو العام.. على حد سواء، إنَّمـا استعملت معارفـي العلمية في المحاماة، وصـرت لا اقبل مرافعـة قـضيـة، إلاَّ بعد دراستها، ومعرفـة وسائل حججهـا ووثائقهـا، فـإذا طبقتهـا حـسب معرفتي على القواعد الشَّرعية، وبان لي موافقتها على ذلك قبلتها، وترافعـت فيها، ومن أجل ذلك كسبت أكثرها بفضل الله وتوفيقه.

رؤية ودراسات

لا بُدَّ من إشارة مقتضبة: لما قام به المفكرون والأدباء مـن دراسـات عميقة عن أعمالي الأدبيـة، وقـد أشـير لبعـضها فـي مقدمـة ديـوان مدينـة الدراري، الدراسة الَّتي كتبتها البنت فردوس، والدِّراسة الَّتي في مقدمة كـانوا على الدرب، للدُّكتور/ حسام سعيد سلمان العبد الهادي الحبيب، ودراسـات متفرقة، لم يجمع شتاتها فِيْ كتيب يبقى رصيداً ومرجعاً، لمن أراد الدراسـة عن هذه الأعمال، وهذه الدراسات نشرت على صفحات الصُّحف الداخليـة والخارجية، وفي كتب كثر، كمـا أذيعـت حلقـات دراسيـة مـن إذاعـات عربية.. وغير عربية، ومن راديو المملكة من جميـع محطاتهـا، ومـن راديـو لندن في رياض الشِّعْر، وأكثرها أشير لها في كتاب «خيـوط مـن الـشَّمس»

كما شاركت في عدّة ندوات فكرية وأدبية، أبرزها مؤتمر الشعر في الخليج الذي أقيم في مدينة الرياض تحت رعاية رئيس رعاية الشباب الأمير فيصل ابن فهد عام ثمانية بعد الأربعمائة والألف هجري وآخر ندوة الّتي أقامها لي النَّادي الأدبي بقاعة الجمعية الخيرية بالقطيف، في عام ١٤١٩هـ، وأقام النادي نفسه ندوة أسماها بعيون الشعر ألقيت فيها قصيدة على كف عفريت كما تم تكريمي من وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري بصفتي أحد الرواد مع ثلة من رواد المملكة في معرض الكتاب بمدينة الرياض تحت رعاية خادم الحرمين وقد حضر عنه بالنيابة الأمير سطّام وقد صدر كتاب عن الرواد يتضمن نبذة من حياتهم مع صورهم الشمسية، كما منحوا شهادة تقدير من الدكتور خالد وزير التعليم العالي وجائزة (درعاً وكأساً) كتب عليهما اسمي.



الكتاب الذين كتبوا عن أعمالي

أريد أن أثبت هنا بعض المفكرين الذين اهتموا وكتبوا عن بعض أعمالي الفكرية وليس على سبيل الحصر وإنما نذكر شريحة منهم وهي كسجل أو فهرست لهذه الأسماء وهي:

اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المطبعة	الطبعة والتاريخ	رقم الصفحة
د / بدوي طبانة	من أعلام الشعر	دار الرفاعي ـ الرياض	ط ١ – ١٤١٢	٣٢٧
الشيخ عبد الله الخنيزي	نسيم وزوبعة	القاهرة	ط ١ – ١٣٩٧	٢٣١
د / بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية	دار صادر ـ بيروت	ط١-١٣٩٣	٣٨٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	واحة على ضفاف الخليج	مطبعة الفرزدق الرياض	ط٢-١٤١١	٤٠٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	هذه بلادنا	مطابع جامعة الملك سعود	ط١-١٤١٠	٢٣٠
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	ساحل الذهب الأسود	دار مكتبة الحياة ـ بيروت	ط٢-١٣٨٢	٢٤٧
الأستاذ / عبد الله عبد الجبار	التيارات الأدبية الحديثة في قلب ج	جامعة الدول العربية	ط ١- ١٩٥٩	٢٨٩

الأستاذ / عبد الله أحمد الشباط	أدباء من الخليج العربي	الدار الوطنية ـ الخبر	ط ١ـ ١٤٠٦ هـ	٢٧٤
د / عبد الله آل مبارك	الأدب العربي في الجزيرة ق١	مطبعة الجبلاوي القاهرة	ط ١ـ ١٩٧٣ م	٣٦
د / عبد الله الحامد	الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية	دار الكتاب السعودي	ط ١ـ ١٤٠٦ هـ	٨٢
خليف بن سعد الخليف	الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث	مطبعة سفير ـ الرياض	ط ١ـ ١٤٠٩ هـ	٨٩
د / عمر الطيب الساسي	الموجز في تاريخ الأدب السعودي	مطابع سحر ـ جدة	ط ١ـ ١٤٠٦ هـ	٢٤٤
عبد العلي آل سيف	القطيف وأضواء على شعرها الحديث	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط ١ـ ١٤٠٦ هـ	٣٠٠
عبد الرحمن العبيد	الأدب في الخليج العربي	النشاط الثقافي ـ الرياض	ط ١ـ ١٣٧٧	٥٨
د/ شيخ عبد الهادي فضلي	في جريدة اليوم عدد (٢٥٠)		١٣٨٨	
الأستاذ / الخياط	في البلاد السعودية			
د / شفاء عقيل	دراسة عن الشعر الرومانسي	رسالة ماجستير		
د / علي جواد الطاهر	معجم المطبوعات	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط ٢ـ ١٤١٨	١١٥٤،٤٦
د / علي جواد الطاهر	عالم الكتاب	المجلد الثالث العدد الرابع	١٤٠٣	٥١٨،١٩
السيد حسن أبو الرحى	المنهل	المجلد الثاني		٧٥

الشيخ علي الشيخ منصور المرهون	شعراء القطيف	الجزء الثاني		١٥٠
أ / أبو بكر الشمري	الفهرست المفيد في أعلام الخليج	الدار الوطنية ـ الخبر	ط ١ـ ١٤١٣ هـ	١٥٩
الدائرة للأعلام	معجم الكتّاب والمؤلفين	الدائرة للأعلام المحدودة	ط ٢- ١٤١٣ هـ	٥٢
عبد الله حسن آل عبد المحسن	شعراء القطيف المعاصرون	مطابع الرجاء ـ الخبر	ط١- ١٤١٤هـ	٨٥
السيد حسن العوامي	صحيفة اليوم			
السيد محمد الصويغ				
الأستاذة / فردوس الخنيزي	ديوان مدينة الدراري	مطابع الرضا ـ الدمام	ط ١ـ ١٤١٤ هـ	٩
د / حسام سعيد الحبيب	ديوان كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	ط١ـ ١٤١٦ هـ	٩
أ/السيد حسن العوامي	من وحي القلم	دار المحجة ـ بيروت	ط١- ١٤٢٣هـ	٤٠
سعود الفرج	شعراء مبدعون	القطيف	ط١ ١٤١٧	٣٢٣
فائز المسلم	ذكرى مؤرخ وشاعر	الدمام	ط١ ١٤١٨	٢٦٣
خالد سعود الحليبي	الشعر الحديث في الإحساء	مطابع الوفاء ـ الدمام	ط١ ١٤٢٤	١١٢- ٤٠٨،٠٩
أحمد سعيد بن سلم	موسوعة الأدباء والكتّاب	دار المنار ـ القاهرة	١٤١٢	٣٢٣
خالد أحمد اليوسف	دليل الكتّاب والكاتبات	الجمعية العربية	١٤١٥	١٠٨

د/ محمد عثمان الملا	الحكمة في شعر بني عبد القيس	الدار الوطنية	١٤٢٠	٨٥
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	١٩٩٥	١٨٦
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرون	مطابع الملك فهد	٢٠٠٢	٦٠٥
سعيد أحمد الناجي	المعجم الخفيف في تراجم أعلام القطيف	أطياف للنشر والتوزيع القطيف	٢٠٠٦ م	٣١٣
وزارة التعليم العالي	رواد المؤلفين السعوديين	معرض الكتاب	٢٠٠٦	٣٩، ٤٠
الموسوعة	موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث	الرياض	١٤٢٢	٢٩١،٢٩٢
مكتبة الملك فهد	أخبار المكتبة	الرياض عدد ٣١ رجب	١٤٢٥	٢٢
الشيخ علي البلادي	أنوار البدرين - مؤسسة الهداية	بيروت ٢٠٠٣م ط١	٣٦٥، ٣٧٤، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٢٩، ٤٣٣	

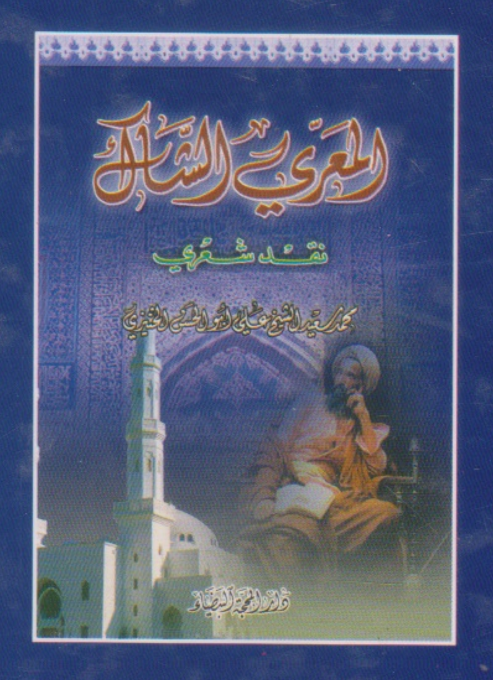
مضافاً إلى ما كتبته الصحافة المحلية والخارجية عن هذه الأعمال الأدبية وأذاعت عنها الإذاعات العربية والغربية.

الأعمال العلمية والأدبية

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
النغم الجريح	دار مكتبة الحياة ـ بيروت	١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م	شعر
شيء اسمه الحب	مكتبة الأنجلو المصرية	١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م	شعر
شمس بلا أفق	الدار العالمية ـ بيروت	١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م	شعر
مدينة الدراري	مطابع الرضا ـ الدمام ـ السعودية	١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م	شعر
كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م	شعر
خيوط من الشمس «قصة وتاريخ»	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م	مجلدان نثر

الشعر ودوره في الحياة: أنجز منه مجلدان (المجلد الأوّل ـ في جزأين) يحتوي على العصر الجاهلي، وعصر النور « الإسلام» والأموي والعباسي، وفترة الفكر الانتكاسية، والجزء الثَّاني يحتوي على دراسة حياة بعض الشعراء للأقطار العربية. المجلد الثاني (في جزأين) الثالث خاص بشعراء المملكة الرومانسيين والجزء الرابع خاصٌ بثلة من شعراء القطيف الكلاسيكيين .			
تهاويل عبقر	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م	شعر
العبقري المغمور	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م	نثر
أضواء من النقد في الأدب العربي	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م	نثر
إيحاءات سماوية	تحت الطبع	****	شعر
أوراق متناثرة	دار المحجة البيضاء	١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م	شعر
أشباح في الظلام	دار المحجة البيضاء ـ بيروت	ط ١ ـ ١٤٢٧ هـ	نثر
من ذاكرة التاريخ	مخطوط	***	نثر
أيام من التاريخ	مخطوط	***	نثر
المعري الشاك	دار المحجة البيضاء	١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م	نثر
ذكرى أبو نسيم	تحت الطبع	***	نثر

المحتوى





الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com